
اجاثا كريستي
القصاص



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. وروياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

القصِّاص

«إنَّها حادثة بشعة مروّعة» هكذا كان رأي كلٍّ من مخبر الشرطة «هركيول بوارو» وصديقه «هيستنجز» بعد قراءة خبر هذه الجريمة في الجريدة التي نشرت الخبر وتحته صُورة حديثة للسيدة «كلايتون» زوْجة القتيل.

بدأت الأحداث بأن وجَّه العقيد «جاك ريتش» دعوة للسيد «كلايتون» وزوجته لحضور سهرة في بيته وكانت تربطه بالزوْجين صداقة وطيدة.

في ليلة السَّهرة حضر جميع الأصدقاء وحضرت السيدة «كلايتون» وتخلف عن الحضور السيد «كلايتون» وأبلغ اعتذاره مع زوجته لأنه دُعِي فجأة للسفر إلى «اسكتلندا».

وفي نهاية السهرة انصرف جميع المدعوين بعد منتصف الليل. والمفاجأة أنه في الصباح وُجدت جُثَّة السيد «كلايتون» في صندوق النفَائِس في حجرة الجلوس. قام المخبر «بوارو» وزميله «هيستنجز» بالتحريات لحلّ هذا اللغز.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	3 دنانير	مصر	10 جنيهات
الجزائر	300 دينار	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 995338387-1



القصاص

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

القصاص

(71)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الغلاف بريشة الفنان

فرج حسن

القصاص

ما كدت ألقي نظرة على خبر الجريمة المنشور في الصحيفة حتى قلت لصديقي "هركيول بوارو" إن العنوان الذي أُختير للخبر عنوان مثير حقًّا.. ولم يكن معنى ذلك أنني كنت أعرف الأشخاص الذين دارت حولهم جريمة القتل ، فإن اهتمامي لم يكن يزيد على اهتمام رجل الشارع أو القارئ العادي وقد أيد "بوارو" رأيي قائلا : إن للخبر رائحة (الشرق) ، والخفاء والغموض ... وقد يكون الصندوق الكبير الذي وجدت الجثة بداخله مجرد تقليد متقن للأصل مما يباع في معارض الأثاث الشرقي بـ"لندن" ... ومع ذلك فإن الصحفي الذي أطلق عليه اسم (صندوق بغداد) كان ملهما موفقا ... ثم إن اختيار عنوان الخبر بكلمات (لغز صندوق بغداد) هو اختيار ملائم للقصة ، وإن كنت أظن أن عنصر اللغز فيها قليل..

فقلت لصديقي :

– صدقت .... إنها حادثة بشعة مروعة .. لكنها ليست من نوع الألغاز الغامضة ...

فردد "بوارو" كلماتي متأملا :

– بشعة مروعة ...

فنهضت قائما وقلت وأنا أذرع الغرفة جيئة وذهابا :

– إن الحادثة كلها مثال للبشاعة .. قاتل يقتل صديقه ، ويلقي بجثته في داخل الصندوق الكبير .. وبعد نصف الساعة لأكثر نراه يرقص في الغرفة نفسها مع زوجة ضحيته ... تصور ! لو أن الزوجة خطر لها لحظة أن ...

فقال "بوارو" وهو مستغرق في تأملاته:

– صدقت ... ويبدو أن تلك البديهة الغريزية التي تفاخر بها المرأة دائما كانت خاملة عندها ...

فقلت وقد شعرت على الرغم مني برعدة خفيفة تسري في جسدي :

– ويبدو أيضا أن الحفلة التي ضمت أبطال القصة مضت إلى نهايتها يرفرف عليها جو من المرح والسعادة... وطول الوقت الذي ظلوا فيه يرقصون ويلعبون البوكر ، كان هناك قتيل معهم في الغرفة ! . بوسع الإنسان أن يؤلف مسرحية عن شيء كهذا ...

فقال "بوارو" :

– إن فكرة كهذه عُولجت من قبل ... لكن لك أن تطمئن يا صديقي "هيستنجز" ... فكون الفكرة كانت من قبل موضوعا لمادة درامية لا يمنع من تكرارها من جديد .. لك أن تؤلف مسرحيتك القائمة على هذه الحبكة وأنت مطمئن ! .

وامتدت يدي إلى الجريدة وأخذت أتأمل الصورة الفوتوغرافية التي تتوسط خبر الجريمة ... وقلت ببطء :

– لابد أن صاحبة الصورة امرأة جميلة ... إنها توحي بأفكار كثيرة ...

وقرأت الكلمات التالية تحت الصورة :

"صورة حديثة للسيدة "**كلايتون**" ، زوجة القتيل .."

فتناول بوارو" الجريدة من يدي وقال :

– نعم ... إنها جميلة بالفعل .. لاجدال في أنها امرأة من هؤلاء النساء اللاتي خلقن لسلب راحة البال من نفوس الرجال ...

ثم أعاد الصحيفة إليَّ وهو يتنهد قائلا :

– حمدا لله ... أحمده تعالى لأنني لم أخلق ملتهب العاطفة، فوار

المشاعر.. . إن هذه النعمة قد جنبتني التورط في كثير من المشاكل ... حمدا له وشكرا.. . ولست أتذكر أننا تكلمنا في موضوع القضية أكثر من هذا .. ولم يبد من "**بوارو**" وقتها أي اهتمام غير عادي ، حقًّا إن وقائع القضية كانت من الوضوح بحيث إن المزيد من النقاش فيها بدا مضيعة للوقت ...

كان السيد "**كلايتون**" وزوجته تجمعهما صداقة وطيدة بالعقيد "**ريتش**" ... وفي ذلك اليوم المحدد العاشر من شهر آذار (مارس) ، قبل "**كلايتون**" وزوجته دعوة العقيد "**ريتش**" لتمضية السهرة في بيته ... إلا أنه في حوالي الساعةالسابعة والنصف أبلغ "**كلايتون**" صديقا له هو السيد "**كورتيس**" الذي كان يتناول معه كأسا من الشراب أنه دعي فجأة للسفر إلى "**اسكتلندا**" وأنه سوف يركب قطارالساعة الثامنة مساء ...

واستطرد "**كلايتون**" يقول لصديقه "**كورتيس**" :

– سوف تتبقى أمامي دقائق للوصول إلى منزل صديقنا "**چاك ريتش**" والاعتذار له عن التخلف ... ولكن زوجتي "**مرغريت**" ستذهب إلى السهرة بالتأكيد .. إنني آسف لهذا الطارئ الذي سيحول دون حضوري السهرة ، ولكن "**چاك**" سوف يقدر ويعذر ..

وكان "**كلايتون**" عند وعده .. فقد وصل إلى مسكن العقيد "**چاك ريتش**" في حوالي الساعة الثامنة إلا الثلث ... وكان العقيد خارج البيت وقتها ... ولكن خادمه الخاص الذي كان يعرف "**كلايتون**" تمام المعرفة دعاه إلى الدخول والانتظار... فقال "**كلايتون**" إنه ليس عنده وقت ، ولكنه سيدخل مع ذلك ويكتب رسالة موجزة لصديقه ، وأضاف أنه في طريقه للحاق بالقطار ..

وهكذا أدخله الوصيف إلى غرفة الجلوس ....

وبعد حوالي خمس دقائق فتح "العقيد "**ريتش**" باب غرفة الجلوس (ولابد أنه

دخل مسكنه دون أن يسمعه الوصيف) ونادى الخادم وطلب منه أن يذهب لشراء سجائر .. وبعد عودته قدم السجائر إلى مخدومه الذي وجده عندئذ وحده في غرفة الجلوس ... وكان من الطبيعي أن يفهم الخادم أن السيد "**كلايتون**" كان قد انصرف ...

وجاء الضيوف بعد ذلك بفترة قصيرة ... وكانوا السيدة "**كلايتون**" ، والسيد "**كورتيس**" ، والسيد "**سبنسر**" وزوجته ... وقد أمضوا السهرة في الرقص على أنغام الفونوغراف ولعب البوكر .. وفي نهاية السهرة انصرفوا بعد منتصف الليل بقليل ...

وفي صباح اليوم التالي بينما كان الخادم يدخل إلى غرفة الجلوس لتنظيفها فوجئ برؤية بقعة قانية تشوه السجادة المفروشة على الأرض أمام صندوق النفائس الكبير الذي أحضره العقيد "**ريتش**" من الشرق وكان يعرف باسم (صندوق بغداد) ...

وبحركة غريزية رفع الخادم غطاء الصندوق ، وشد ماكان ارتياعه !! إذ وقع نظره بداخل الصندوق على جثة مكومة لرجل صريع بطعنة في قلبه ...

والواقع أن الخادم اشتد به الفزع حتى غادر المسكن مذعورا وأسرع إلى أول شرطي قابله في الطريق .

وقد تبين أن القتيل هو السيد "**كلايتون**" . وترتب على ذلك اعتقال الشرطة للعقيد "**ريتش**" .. وقد أنكر العقيد بقوة معرفته لأي شيء عن الجريمة ... وقرر أنه لم يشاهد "**كلايتون**" في الليلة السابقة، وأنه علم لأول مرة بحكاية سفره إلى "**اسكتلندا**" من السيدة "**كلايتون**" ذاتها ... كانت هذه هي الحقائق الأساسية في القضية ...

وكان من الطبيعي أن يكثر بعدها الغمز والتلميح ...

فقد تناثرت الأقاويل في أمر الصداقة الوثيقة والعلاقة الحميمة بين العقيد "**ريتش**" والسيدة "**كلايتون**" إلى درجة أن الأعمى وحده هو الذي يعجز عن قراءة ما بين السطور .. وكان الدافع إلى الجريمة أمرا واضحا للعيان ...

وكنت أعلم من كثرة التجارب والخبرة أن هذه الأقاويل شيء معهود في أمثال هذه القضايا .. ولا يبعد أن يكون الدافع الذي بدا بهذا الوضوح ربما لم يكن له وجود فعلي على الرغم من كل الظواهر ... وقد يكون هناك سبب آخر مختلف تماما هو الذي أدى إلى مصرع الزوج ... ومع ذلك فإن الوقائع كانت تقول بوضوح إن العقيد "**ريتش**" هو القاتل .

وكان يمكن – كما قلت من قبل – أن تقف القضية بالنسبة إلينا عند هذا الحد ، لو لم يكن في حكم المقرر أن يذهب " **بوارو**" وأنا معه إلى حفل ساهر دعت إليه السيدة "**تشاترون**" هذه الليلة ...

وعلى الرغم من أن "**بوارو**" كان يبدي انتقاده لهذه الارتباطات الاجتماعية ويصرح دائما بأنه يفضل العزلة ، إلا أنه كان في الواقع يستمتع بهذه الحفلات إلى أبعد حد ... إذ كان يلذ له أن يكون محط الأنظار وأن ينال نصيب الأسد من اهتمام الموجودين في الحفل الذي يدعى إليه .

وما أكثر المناسبات التي رأيته فيها يتهلل اغتباطا وهو يتلقى عبارات المديح والإطراء ويرد عليهابكلام هو في نظري غرور صارخ ، مما لا أطيق أن أعرض نماذج منه على أنظار القراء ! ...

وأحيانا كان النقاش بيننا يحتدم في هذا الصدد ، وإذا هو يقول لي :

– إنني يا صديقي لست مثلكم يا معشر الإنجليز . ما الذي يدعوني لتمثيل دور المنافق ... نعم ... نعم ... هذا هو ما تفعلونه كلكم بلا استثناء ... إن الربان الماهر الذي يتم رحلة شاقة صعبة ، وبطل "التنس" الذي يفوز في مباراة

حامية الوطيس ، كلاهما يطل على الناس من عليائه ويغمغم بكلمات خافتة قائلا :

" هذا لاشيء " ... لكن هل هما يقولان هذا صدقا ويؤمنان به في قرارة نفسيهما بإخلاص ؟ . أبدا ... أبدا . إن النفاق وحده هو الذي يمنعهما من المجاهرة بحقيقة شعورهما حيال نفسيهما ... أما أنا فلست من هذا الطراز .. إن مواهبي التي لايضارعني فيها أحد تدعوني إلى أن أتقبل المديح بغير نفاق ولامواراة ، وأسلم مع القائلين بأنني رجل عظيم حقًّا ... إنني أمتاز بالتفكير المرتب، والأسلوب الفذ ، والمقدرة السيكولوچية ، بدرجة استثنائية لايجاريني فيها أحد .. أنا في الواقع "**هركيول بوارو**" ... فما الذي يدعوني إذن لأن أدع حمرة الخجل تعلو وجهي وأتلعثم في الكلام وأقول بصوت خافت إني مجرد إنسان محدود الذكاء ؟ .إن شيئا كهذا هو أبعد عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض ! .

فلم أتمالك أن قلت له بشيء من الامتعاض :

– بالتأكيد هناك "**هركيول بوارو**" واحد ...

وكانت السيدة "**تشاترتون**" ، واحدة من أشد المعجبات بـ"**بوارو**" بعد أن تجلت مقدرته في بعض قضايا السرقات التي استعانت به فيها لكشف غوامضها، ومن وقتها وهي لا تكف عن إطرائه والتمدح بمواهبه .

وكان مشهد "**بوارو**" في هذه الحفلات الاجتماعية مما يبهر الأنظار حقًّا ، خصوصا بملابس السهرة المنمقة ، ورابطة العنق البيضاء الأنيقة ، والشعر المصقول المفروق بدقة هندسية على الجانبين ، والشارب الرائع المشهور الذي أصبح علما عليه ... والواقع أن كل هذه الخصائص مجتمعة جعلت منه صورة كاملة للأنيق المفتون التياه بأناقته !

وكانت الساعة تناهز الحادية عشرة والنصف ليلا عندما انقضت السيدة "**تشاترتون**" علينا وانتزعته عنوة من دائرة المعجبين الملتفين حوله وابتعدت به.. وغني عن البيان أنني كنت في أثره ...

وما كادت السيدة "**تشاترتون**" تبتعد عن أسماع الضيوف حتى قالت له وهي لاهثة الأنفاس :

– أريد منك أن تذهب إلى غرفتي الصغيرة فوق ...أنت تعرف مكانها ياسيد "**بوارو**" .. سوف تجد هناك سيدة في أشد الحاجة إلى مساعدتك لها ، وأنا واثقة بأنك ستساعدها ... إنها من أعز صديقاتي ولهذا أرجو ألا ترفض..

وتقدمتنا بنشاط وهي تقول هذا الكلام وفتحت أحد الأبواب ثم هتفت قائلة:

– إنني وجدته يا "**مرغريت**" ... سوف يفعل أي شيء تطلبينه ياحبيبتي... سوف تساعد السيدة "**كلايتون**" يا سيد "**بوارو**" ،أليس كذلك؟

وانسحبت على الفور بنشاطها المعهود وكأنها كانت موقنة من الرد سلفا...

كانت السيدة "**كلايتون**" جالسة في مقعد قرب النافذة ولم تلبث أن نهضت وتقدمت نحونا .. وكانت حقًا آية في الجمال على الرغم من ملابس الحداد التي كانت ترتديها.

وكانت تطبع ملامحها مسحة من براءة الطفولة زادت من ملاحتها وأضفت عليها سحرا فياضا .. قالت :

– إن " **أليس تشاترتون**" كريمة إلى أبعد حد ... وقد قالت إنك سوف تساعدني يا سيد "**بوارو**" ... وبالتأكيد لا أعرف إن كنت ستفعل هذا أو لاتفعله .. ولكنني أرجو أن تفعل ...

وبسطت إليه يدا تناولها "**بوارو**" ... وقد ظل ممسكا بيدها لحظات وهو يتفرس في محياها ... ولم يكن في أسلوبه ما ينم عن سوء القصد .. كانت

نظراته أقرب إلى النظرات الرقيقة ولكن الفاحصة التي يرسلها الطبيب القدير إلى مريضه الجديد عندما يقف أمامه لفحصه .. قال لها أخيرا :

– هل أنت واثقة يا سيدتي أن بإمكاني مساعدتك ؟

– هذا ما تقوله "**أليس**" ...

– نعم .. لكنني أسألك أنت يا سيدتي ..

فصعد تورد يسير إلى وجنتيها وقالت :

– لست أعرف ماذا تقصد ..

– ماالذي تريدين مني – يا سيدتي – أن أفعله ؟

فقالت :

– إنني ... أنت تعرف من أنا ...

– بالتأكيد .

– إذن فبإمكانك أن تخمن ما الذي أطلب منك أن تفعله يا سيد "**بوارو**" ... إن العقيد "**ريتش**" لم يقتل زوجي ...

– ولم لا ؟

– أرجو المعذرة ...

فابتسم "**بوارو**" لما رآه من ارتباكها اليسير ، وكرر سؤاله قائلا :

– قلت ... ولم لا ؟ .

– لست متأكدة أنني أفهم قصدك ...

– ومع ذلك فهو في منتهى البساطة ... إن البوليس والمحامين .. ا كلهم سوف يوجهون السؤال نفسه: لماذا قتل العقيد "**ريتش**" السيد "**كلايتون**" ؟ أما أنا فأسأل العكس ... أسألك يا سيدتي .. لماذا لم يقتل العقيد "**ريتش**" السيد "**كلايتون**" ؟

فالتهب خداها احمرارا . . . وقالت :

– تقصد . . . لماذا أنا متأكدة من هذا تماما ؟ . . حسنا لكنني أعرف . . . إنني أعرف العقيد "ريتش" معرفة تامة . . . نعم . . . هذا هو ما سوف يقولونه . . . وما سوف يظنونه. . . أواه ! إنني أعرف هذا ! . . .

– هذا صحيح . إن هذا هو ما سوف يقولونه . . . معرفتك للعقيد "ريتش" تماما . . . قد تقولين الحقيقة . . . .وقد تكذبين . . من الضروري للمرأة أن تكذب أحيانا . . النساء لابد أن يدافعن عن أنفسهن . . . والكذب سلاح جيد . . ولكن هناك – يا سيدتي – ثلاثة أشخاص لابد للمرأة أن تقول لهم الصدق . . الكاهن الذي تعترف أمامه ، وحلاقها الخاص ، والبوليس السري الذي تلجأ إليه . . . إذا وثقت به . . هل تثقين بي يا سيدتي ؟ . .

أخرجت "**مرغريت كلايتون**" نفسا عميقا من رئتيها ، وقالت :

– إنني أثق بك . .

ثم أضافت على نحو أقرب إلى الطفولة :

– لابد أن أثق بك . .

– إذن ، ما مدى معرفتك بالعقيد "**چاك ريتش**" ؟

راحت تتطلع إليه برهة في صمت . . ثم رفعت ذقنها متحدية وقالت :

– سوف أرد على سؤالك . . . إنني أحببت "**چاك**" منذ أول لحظة رأيته فيها منذ سنتين . . . وفي العهد الأخير أظنه ، بل أعتقد أنه أصبح يحبني . . لكنه لم يقل هذا قط . . .

فقال "بوارو" :

– عظيم . . . إنك وفرت ربع ساعة من وقتي بذكرك للحقيقة دون لف ولادوران . . . أنت عاقلة حكيمة . . . وبخصوص زوجك . . هل ارتاب في

حقيقة مشاعرك ؟

فأجابت "**مرغريت**" بتؤدة :

– لا أعرف ... فكرت – أخيرا – أنه ربما ارتاب ... فإن أحواله تغيرت ... ولكن ربما كان هذا مجرد أوهام من ناحيتي ..

– ألم يعرف أحد آخر ؟

– لا أظن هذا ..

– وأنت يا سيدتي ... ومعذرة لهذا القول مني ... ألم تكوني تحبين زوجك؟.

في ظني أن قلة من النساء يمكن أن يجبن عن هذا السؤال بمثل البساطة التي أجابت بها هذه المرأة ..

الأرجح أنهن كن يحاولن شرح مشاعرهن .. ولكن "**مرغريت**" قالت ببساطة تامة ...

– لا ... لم أكن أحبه

– حسنا ... الآن نحن نعرف أين نقف ... طبقا لكلامك يا سيدتي ... فإن العقيد "**ريتش**" لم يقتل زوجك .. لكنك تدركين أن كل الأدلة تشير إلى أنه فعل هذا .. فهل تعرفين بكيفية خاصة بك وجود أي مطعن في هذه الأدلة ؟

– لا أعرف شيئا ...

– متى أخبرك زوجك لأول مرة بزيارته لـ "**اسكتلندا**" ؟ .

– بعد الغداء مباشرة .. وقد قال لي إنه متضايق من هذه الزيارة ، لكنه مضطر إلى السفر ... وقال إن المسألة متعلقة بتقدير أطيان زراعية ...

– وبعد ذلك ...

– انصرف للذهاب إلى النادي كما أظن ... إنني ... إنني لم أره بعد ذلك .

– وفيما يتعلق بالعقيد "**ريتش**" ... ماذا كان مسلكه في تلك الليلة ؟ كان كالمعتاد ؟ .

– نعم ... أظن هذا ...

– هل أنت غير متأكدة ؟

فقطبت "**مرغريت**" حاجبيها وقالت :

– إنه كان متحفظا إلى حد ما ... متحفظا نحوي ، لا نحو الآخرين ... لكن أظنني كنت أعرف السبب ..هل تفهم ؟ ... أنا واثقة بأن التحفظ – أو انشغال البال وهو التعبير الأصح – لم يكن له دخل فيما يختص بزوجي "**كلايتون**" . إنه دهش عندما سمع بسفر "**كلايتون**" إلى "**اسكتلندا**" ... لكنه لم يدهش بصورة غير عادية ...

– ألا يوجد شيء آخر غير عادي استرعى نظرك فيما يتعلق بتلك الليلة ؟

فأخلدت "**مرغريت**" إلى التأمل .. ثم قالت :

– نعم ... لاشيء بالمرة ..

– هل .. هل لاحظت الصندوق ؟

فهزت رأسها وقد عرتها رعدة يسيرة قائلة :

– إنني لا أتذكر وجوده بالمرة ... ولا حتى شكله ... إننا كنا نلعب البوكر معظم السهرة ..

– من كان الرابح ؟

– العقيد "**ريتش**" .. إن الحظ السيئ لازمني ...وكذلك السيد "**كورتيس**" .. نعم إن "**سبنسر**" وزوجته ربحا قليلا .. ولكن العقيد "**ريتش**" كان هو الرابح الأكبر ...

– ومتى انقضت السهرة ؟

– حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف كما أظن .. وقد انصرفنا كلنا معا..

– آه !

لزم "بوارو" الصمت ، مغرقاً في التفكير ...

فقالت السيدة "كلايتون" :

– ليتني كنت أستطيع أن أساعدك أكثر من هذا . يبدو أن البيانات التي عندي قليلة ..

– عن الحاضر ، نعم ... ما رأيك عن الماضي يا سيدتي ؟

– الماضي ؟

– نعم ... ألم تقع حوادث بخصوصك ؟

تورد وجهها وراحت تقول :

تقصد ذلك الرجل القصير الشنيع الذي أطلق الرصاص على نفسة منتحرا؟ لم يكن ذنبي يا سيد "بوارو" أؤكد لك أن الذنب لم يكن ذنبي ...

– إنني لم أكن أفكر في هذا الحادث بالذات ..

– تقصد تلك المبارزة السخيفة ؟ . لكن الإيطاليين يتبارزون بالفعل .. وقد حمدت الله على أن الرجل لم يقتل.

فقال "بوارو" برصانة مؤيدا رأيها :

– لابد أن هذا كان مؤديا إلى ارتياحك بالفعل ...

راحت تتطلع إليه بارتياب .. فما لبث أن نهض وأخذ يدها في يده قائلا :

– إنني لن أتبارز من أجلك يا سيدتي .. لكنني سأفعل ما طلبت مني ... سوف أكتشف الحقيقة ونرجو أن تكون مشاعرك الفطرية صادقة .... وهي أن الحقيقة سوف تكون مفيدة ، وليست ضارة لك ..

*****

وكانت مقابلتنا الأولى مع السيد " **كورتيس** " ...

كان رجلا قوي البنية، يناهز الأربعين من عمره ، أسود الشعر لفحت وجهه الشمس ... وكان يعرف أسرة " **كلايتون** " منذ سنوات .. وكان يعرف العقيد "**ريتش**" كذلك ... وقد أيدت أقواله ما جاء في الصحف ...

فقد ذكر أنه تناول مع "**كلايتون**" الشراب في النادي قبل الساعة السابعة والنصف بقليل ، وعندئذ أعلن" **كلايتون**" عزمه على المرور بمسكن العقيد "**ريتش**" في طريقه إلى محطة السكة الحديدية ...

فسأله " **بوارو** " :

– ماذا كانت حالة السيد "**كلايتون**" وقتها ؟

فتأمل السيد "**كورتيس**" برهة ، إذ كان متئداً في لهجته ، ثم أجاب أخيرا :

– لقد بدا في حالة معنوية طيبة ..

– ألم يقل شيئا عن وجود علاقات سيئة بينه وبين العقيد "**ريتش**" ؟

– يا إلهي ! . نعم ... لم يقل شيئًا ... إنهما كانا صديقين حميمين ...

– ألم يكن يعترض على .. صداقة زوجته مع العقيد "**ريتش**" ؟

وهنا علت وجه "**كورتيس**" حمرة شديدة وراح يقول :

– أراك كنت تقرأ ما جاء في تلك الجرائد اللعينة من تلميحات وأكاذيب! ... إنه بالتأكيد لم يعترض على شيء كهذا ... بل إنه قال لي وقتها ، إن "**مرغريت**" ستذهب إلى السهرة بالتأكيد ...

– مفهوم .. والآن – بخصوص السهرة – ماذا كانت حالة العقيد "**ريتش**" ؟ هل كان كالمعتاد ؟

– إنني لم ألاحظ وجود أي اختلاف ..

– والسيدة ؟ . كانت هي أيضا في حالة عادية ؟

جعل "**كورتيس**" يتأمل برهة ، ثم أضاف :

– الآن وأنا أستعرض الموقف ، يبدو لي أنها كانت هادئة بعض الشيء .. أعني أنها بدت ساهمة ، سارحة بفكرها ...

– من وصل إلى الحفلة أولا ؟

– "**سبنسر**" وزوجته ... إنهما كانا هناك عند وصولي ... والحقيقة أنني مررت على السيدة "**كلايتون**" لاصطحابها ، ولكني وجدت أنها سبقتني في الذهاب وهكذا ... وصلت متأخرا قليلا ...

– وكيف أمضيتم السهرة ؟ رقصتم .. ولعبتم البوكر ؟

– جمعنا بين هذا وذاك ... لكن بدأ الرقص أولا ...

– هل كنتم خمسة أشخاص ؟

– نعم ... لكن لم يكن لهذا تأثير .. لأنني لا أرقص .. كنت أضع الأسطوانات في الفونوغراف .. وهم يرقصون ...

– من رقص أكثر من غيره ؟

– لابأس ... في الحقيقة أن "**سبنسر** " وزوجته يفضلان الرقص معا دائما ..

– معنى هذا أن السيدة "**كلايتون**" رقصت معظم الوقت مع العقيد "**ريتش**" ؟

– تقريبا ...

– وبعد ذلك لعبتم البوكر ؟

– نعم ...

– ومتى انصرفتم ؟

– انصرفنا في وقت مبكر ... قبل منتصف الليل بقليل ...

– هل انصرفتم كلكم معا ؟

– نعم ... والحقيقة أننا ركبنا سيارة أجرة ، فأنزلنا السيدة "**كلايتون**" أولا ، وأنا بعد ذلك ، وواصل السيد "**سبنسر**" وزوجته الطريق أخيرا ..

*****

قمنا بعد ذلك بزيارة السيد "**سبنسر**" وزوجته ، ولكنها كانت وحدها في المنزل، وكانت أقوالها عن السهرة مطابقة لما قرره السيد "**كورتيس**" ، فيما عدا أنها أبدت شيئا من الامتعاض عند ذكر ما ناله العقيد "**ريتش**" من حظ في اللعب .

وكان "**بوارو**" قد اتصل تليفونيا في وقت مبكر صباح اليوم بالمفتش "**جاب**" في "**اسكتلانديارد**" ... وكانت النتيجة أننا عند وصولنا إلى مسكن العقيد "**ريتش**" وجدنا خادمه الخاص "**برجوين**" في انتظارنا ...

وكانت أقوال الوصيف دقيقة وواضحة تماما ...

فقد جاء السيد "**كلايتون**" إلى المسكن في الساعة الثامنة إلا الثلث ، ولسوء الحظ كان العقيد "**ريتش**" قد خرج قبل ذلك مباشرة ... وقال السيد "**كلايتون**" إنه لا يستطيع الانتظار إذ لابد له من اللحاق بقطار للسفر ، ولكنه يود مع ذلك أن يكتب لصديقه رسالة موجزة ... وعلى هذا فقد ذهب إلى غرفة الجلوس لهذا الغرض ... ولم يسمع "**برجوين**" سيده عندما عاد إذ كان منشغلا وقتها بإعداد الحمام ... وبالطبع فإن سيده العقيد دخل بعد فتح الباب بمفتاحه الخاص .

وقرر "**برجوين**" أنه بعد عشر دقائق ناداه العقيد "**ريتش**" وأرسله إلى الخارج لشراء سجائر .. قال إنه لم يدخل وقتها غرفة الجلوس ، فإن العقيد "**ريتش**" كان واقفا في مدخل الغرفة ... وبعد خمس دقائق عاد بالسجائر ، وفي هذه المناسبة

دخل غرفة الجلوس التي كانت وقتئذٍ خالية إلا من سيده الذي كان واقفا قرب النافذة يدخن ... ثم سأل العقيد "**ريتش**" إن كان الحمام قد أعد ، ولما أجابه بالإيجاب شرع يأخذ الحمام ..

وقال "**برجوين**" : إنه لم يذكر لسيده مسألة السيد "**كلايتون**" اعتقادا منه بأن سيده قد وجده عند حضوره ثم شيعه بعد ذلك عند انصرافه ... وكانت أحوال سيده كالمعتاد فبعد أن فرغ من الحمام غيّر ملابسه استعدادا للخروج، وبعد قليل جاء السيد "**سبنسر**" وزوجته ، وتبعهما السيد "**كورتيس**" ، والسيدة "**كلايتون**" .

وذكر "**برجوين**" ردا على سؤال من "**بوارو**" أنه لم يخطر له أن السيد "**كلايتون**" ربما كان قد انصرف قبل عودة سيده ... فلكي يفعل السيد "**كلايتون**" هذا كان لابد له أن يجذب الباب الخارجي خلفه لإغلاقه ، ولو فعل هذا لسمعه "**برجوين**" ولاشك .

وانتقل الوصيف بعد ذلك إلى وصف كيفية اكتشافه للجثة .. وللمرة الأولى اتجهت بنظري إلى الصندوق الرهيب ...

كان قطعة أثاث كبيرة لحفظ النفائس ، وكان موضوعا بجوار الحائط قرب منضدة الفونوغراف ...

كان مصنوعا من الخشب الأسود وتحوطه مسامير نحاسية كثيرة ... وكان غطاؤه يرفع بسهولة ... ولما نظرت بداخله لم أتمالك نفسي من الارتعاد ... فعلى الرغم من تنظيفه ظلت به بقع مشؤومة عالقة ...

وفجأة هتف "**بوارو**" قائلا :

– ما هذه الثقوب ... إنها غريبة ! يكاد الإنسان يقول إنها عملت حديثا...

كانت الثقوب التي أشار إليها ، في ظهر الصندوق ناحية الحائط ... كانت

ثلاثة أو أربعة ثقوب ، يناهز قطر كل منها حوالي نصف سنتيمتر ، وبدا من مظهرها بكل جلاء أنها صنعت حديثا ..

ولم يلبث "بوارو" أن انحنى لفحص الثقوب وهو ينظر متسائلا إلى الوصيف فقال:

– هذا غريب ولا شك يا سيدي .. إنني لا أتذكر أنني رأيت هذه الثقوب بالمرة في أي وقت سابق .. وإن كان يمكن بالطبع ألا ألاحظها ...

فقال "بوارو" :

– هذا شيء لا أهمية له ...

وأغلق "بوارو" الصندوق وتراجع في الغرفة إلى أن وقف وظهره مسند إلى النافذة ... وفجأة وجه سؤاله قائلا :

– قل لي ... عندما أحضرت السجائر إلى سيدك في تلك الليلة . ألم يكن هناك شيء في غير موضعه في الغرفة ؟

تردد "برجوين" برهة . ومالبث أن أجاب بعد نفور يسير :

– غريب سؤالك ياسيدي .. الآن وقد قلت هذا، فهو ما حدث بالفعل ... فإن ذلك الساتر الذي يمنع تدفق تيارات الهواء إلى غرفة النوم قد جرى تحريكه قليلا إلى اليسار ...

– بهذه الكيفية ؟

واندفع "بوارو" بخفة إلى الأمام وجذب الساتر ...

كان شيئا جميلا من الجلد الملون ... وكان منذ لحظات يحجب الصندوق جزئيا عن النظر ، فلما عدله "بوارو" حجب الصندوق تماما ...

فقال الوصيف :

– تماما يا سيدي . إنه كان في هذا الوضع ...

– وفي صباح اليوم التالي ؟

– كان لايزال هكذا ... إنني أتذكر الآن . فقمت بتحريكه ، وعندها رأيت البقعة ... إن السجادة قد نقلت للتنظيف يا سيدي ... وهذا هو سبب وجود الأرضية عارية الآن ...

فأومأ "بوارو" قائلا :

– مفهوم .. شكرا لك ...

– ودس في يد الوصيف ورقة مالية ، فقال هذا :

– شكرا لك يا سيدي ...

وعندما خرجت مع "بوارو" إلى الشارع قلت له :

– قل لي يا "بوارو" ... مسألة الساتر هذه ... أهي نقطة في صالح العقيد "ريتش" ؟

فأجاب "بوارو" باستياء :

– بل هي نقطة أخرى ضده ... إن الساتر قد أخفى الصندوق عن باقي الغرفة.. كما أنه أخفى بقعة الدم فوق السجادة ... والواقع أن الدم كان لابد أن يتسرب من الصندوق عاجلا أو آجلا ويلطخ السجادة .. فكان الساتر هو الذي يمنع اكتشاف أي شيء مؤقتا ... نعم ... لكن هناك في هذه المسألة شيء لا أفهمه .. الوصيف يا "هيستنجز" ! الوصيف !

– ماذا بشأن الوصيف ؟ ... يبدو أنه شخص نبيه جداً ...

– هو نبيه جداً كما قلت ... فهل مما يعقل إذن أن العقيد "ريتش" لايدرك أن الوصيف لابد أن يكتشف الجثة في الصباح ؟ . .. سوف نسلم بأنه بعد ارتكاب الجريمة مباشرة لم يكن أمامه وقت لعمل أي شيء ...

إنه يكتفي بإلقاء الجثة في الصندوق ، ويجذب الساتر أمامه ، ويمضي بقية

السهرة مؤملا ألا يقع ما ليس في الحسبان ... لكن بعد انصراف الضيوف ؟ من المؤكد أن هذه هي الفترة المناسبة للتخلص من الجثة ...

– ربما كان يأمل ألا يلاحظ الوصيف بقعة الدم ؟

– هذا مستحيل يا صديقي ، إن السجادة هي أول شيء لابد أن يسترعي نظر خادم كفء .. ولكننا نرى العقيد "ريتش" يذهب إلى فراشه ويغط في النوم هانئا مرتاحا ولا يفعل شيئا بالمرة بصدد هذه المسألة !

هذا شيء غريب جداً ، وطريف جداً !

فقلت له :

– أيمكن أن يكون "كورتيس" قد رأى البقعة عندما كان يغير أسطوانات الفونوغراف في الليلة السابقة ؟

– هذا غير محتمل ... فإن الساتر يلقي ظلا كثيفا في مثل هذا الموضع .. كلا .. لكنني بدأت أرى ... نعم ... إنني بدأت أرى من خلال الظلمات ...

فقلت متلهفا :

– ترى ماذا ؟

– احتمالات التوصل إلى التفسير البديل ، إذا صح هذا التعبير ... إن زيارتنا التالية قد تلقي الضوء على الموقف ...

*****

كانت هذه الزيارة للطبيب الذي تولى فحص جثة القتيل وقد كانت أقواله ملخصاً لما أدلى به من قبل في التحقيق الرسمي . فإن القتيل قد طعن في القلب بمدية طويلة رفيعة شبه الخنجر ... وقد تركت المدية في الجرح .. وكانت الوفاة في التو واللحظة ... وكانت المدية مملوكة للعقيد "ريتش" .. وكانت توضع

عادة فوق مكتبه ... ولم يعثر على بصمات أصابع كما فهم الطبيب ... إن البصمات إما محيت أو أن المدية أمسكت بواسطة منديل .. وفيما يختص بالوقت ، فهو يتراوح بين الساعة السابعة والساعة التاسعة...

فسأله "**بوارو**" :

– الا يمكن .. مثلا ، أن يكون قد قتل بعد منتصف الليل ؟

– لا . لايمكن ... هذا شيء يمكنني أن أجزم به ... إن الساعة العاشرة هي أقصى وقت لحدوث القتل ... لكن الأكثر احتمالا هو الفترة بين الساعة السابعة والنصف والساعة الثامنة ..

وبعد أن عدنا إلى البيت طرق "**بوارو**" الموضوع قائلا :

– هناك نظرية ثانية ممكنة ... ترى هل خطرت لك يا "**هيستنجز**" ؟ بالنسبة إلي هي في غاية الوضوح ، ولاأحتاج إلا إلى نقطة واحدة لكي أتم حل القضية نهائيا ...

فقلت له :

– لافائدة من ناحيتي ..

– لكن حاو ل يا"**هيستنجز**" .. حاول يا صديقي ..

فرحت أقول :

– لابأس .. في الساعة السابعة والنصف كان" **كلايتون**"حيا ومعافى .. وكان آخر شخص رآه هو "**ريتش**" ...

– هذا هو ما نفترضه ..

– حسنا ... أليس هكذا ؟

– أنت تنسى يا صديقي أن العقيد "**ريتش**" ينكر هذا ... إنه قرر بوضوح أن "**كلايتون** " كان قد انصرف عندما جاء هو ...

- لكن الوصيف قال إنه لابد من أن يسمع "**كلايتون**" يخرج ، لأنه لابد له من جذب الباب وراءه بصوت مسموع ... وأيضا إذا كان "**كلايتون**" قد خرج من المسكن ، فمتى عاد إليه ؟ ... لايمكن أن يكون قد عاد بعد منتصف الليل؛ لأن الطبيب قرر بصفة قاطعة أنه كان ميتا قبل ذلك بمدة ساعتين على الأقل ... إن هذا يترك أمامنا بديلا واحدا ...

فقال "**بوارو**" :

- نعم يا صديقي.

- هو أنه في خلال الدقائق الخمس التي مكثها "**كلايتون**" وحده في غرفة الجلوس ، دخل عليه شخص آخر وقتله ... لكن يواجهنا هنا الاعتراض نفسه.

فلا يمكن لشخص إلا من معه مفتاح أن يدخل المسكن دون أن يعرف الوصيف، وبالكيفية نفسها كان القاتل عند انصرافه لابد له من جذب الباب الخارجي ، ولو تم هذا لسمع الوصيف صفق الباب ...

فقال "**بوارو**" :

- بالضبط ... والنتيجة إذن ؟

فقلت له :

- النتيجة لا شيء ! .. لا أستطيع أن أرى حلا آخر !

فغمغم "**بوارو**" قائلا :

- يا للأسف ... ومع ذلك فالمسألة غاية في السهولة والوضوح .. الوضوح والصفاء الذي يشبه صفاء زرقة عيني السيدة "**كلايتون**" !

- أنت إذن تعتقد ..

- أنا لا أعتقد شيئا إلى أن أضع يدي على الدليل ... هناك دليل واحد سوف يقنعني ....

وتناول سماعة التليفون وطلب المفتش "**جاب**" في "**اسكتلانديارد**" ..

وبعد ثلث الساعة كنا نقف أمام مجموعة أشياء متنوعة كانت مكومة فوق منضدة صغيرة ... وكانت هذه الأشياء هي المحتويات التي عثر عليها في جيوب القتيل .....

كانت عبارة عن منديل ، وحفنة من النقود النثرية ، ومفكرة جيب تحتوي على ثلاثة جنيهات وعشرة شلنات ، وبضع فواتير ، وصورة فوتوغرافية صغيرة بالية لـ" **مرغريت**" ... كما وجدت أيضا مطواة ، وقلم رصاص ذهبي، وعدة خشبية ثقيلة ...

ترك "**بوارو**" كل هذه الأشياء وانقض على العدة الخشبية ففك غطاءها وسرعان ما تناثرت منها عدة أسلحة صغيرة ...

فقال "**بوارو**" :

– هل رأيت يا "**هيستنجز**" ... مثقابًا ، مع باقي العدة ... آه ... ! إن المسألة لا تستغرق أكثر من دقائق معدودة لعمل ثقوب قليلة بهذا المثقاب ...

– تلك الثقوب التي رأيناها في الصندوق؟

– بالضبط ...

– تعني أن "**كلايتون**" هو الذي عمل هذه الثقوب بنفسه؟

– بالتأكيد ... بالتأكيد ... بماذا توحي إليك هذه الثقوب ... ؟ إنها لم تعمل بقصد النظر من خلالها؛ لأنها كانت في ظهر الصندوق ... فلأي غرض عملت إذن ؟ ... من أجل الهواء كما هو الواضح ... لكنك لا تعمل ثقوبا للهواء من أجل جثة ميت ، وإذن فمن الواضح أنها لم تعمل بيد القاتل ... إن الثقوب توحي بشيء واحد ... وشيء واحد فقط ... وهو أن رجلا أراد الاختباء في داخل الصندوق ... فإذا أخذنا بهذه النظرية فإن كل شيء يبدو

مفهوما في الحال ... إن السيد "**كلايتون**" يغار على زوجته من العقيد "**ريتش**" ... وهو يمارس اللعبة القديمة منذ الأزل ، وهي التظاهر بالسفر ... إنه يراقب العقيد "**ريتش**" إلى أن يخرج من مسكنه ، فيدخل إلى المسكن ، ويتركه الوصيف وحده لكي يترك رسالة لصديقه ، فيسارع بعمل تلك الثقوب في الصندوق ، ثم يختبئ بداخله ... إن زوجته قادمة إلى المسكن في تلك الليلة .. ويحتمل أن يعمد "**ريتش**" إلى التخلص من باقي المدعوين ، أو أن تبقى هي بعد انصراف الآخرين ، أو أن تتظاهر بالانصراف ثم تعود بعد ذلك... وسواء أكان هذا أم ذاك ، فستكون هناك فرصة أمام "**كلايتون**" لكي يعرف الحقيقة ... إن كل شيء محتمل ، وأفضل كثيرا من عذاب الشك المروع الذي يكابده .

– إذن تقصد أن "**ريتش**" قتل "**كلايتون**" بعد انصراف المدعوين ؟ ... لكن الطبيب قال إن هذا مستحيل ...

– بالضبط .. إذن فأنت ترى يا "**هيستنجز**" أنه لابد أن يكون قد قتل في أثناء فترة المساء ؟

– لكن كل إنسان كان في الغرفة ...

فقال "**بوارو**" برصانة :

– بالضبط ... هل رأيت حبكة هذا الموقف ؟

" كل إنسان كان في الغرفة " كما قلت .... ياله من إثبات قاطع يبرئ القاتل! ياله من تدبير محكم ! ...يالها من أعصاب ! ... يالها من جرأة !

– إنني مازلت لا أفهم ...

– من الذي وقف خلف الساتر لملء الفونوغراف وتغيير الأسطوانات ؟ تذكر أن الفونوغراف والصندوق كانا متجاورين ... الباقون يرقصون ...

والفونوغراف دائر ... والرجل الذي لا يرقص يرفع غطاء الصندوق ويغمد المدية التي كان قد دسها في كمه في جسد الرجل الذي كان مختبئا في الصندوق...

– مستحيل ... لابد أن الرجل كان سيصرخ ! ...

– لايصرخ إذا كان قد خدر قبل ذلك ...

– خدر ؟ ...

– نعم ... مع من تناول "**كلايتون**" كأسا من الشراب في الساعة السابعة والنصف ؟ ... آه ! ... أراك فهمت الآن ! ... إن "**كورتيس**" راح يلهب عقل "**كلايتون**" بالشكوك في زوجته و "**ريتش**" ...و "**كورتيس**" هو الذي يقترح هذه الخطة ... أعني السفر إلى "**اسكتلندا**" .. والاختباء في الصندوق ، ثم اللمسة الأخيرة التي تتجلى في جذب الساتر ... لم يكن هذا بقصد أن يتمكن "**كلايتون**" من أن يرفع غطاء الصندوق ويروح عن نفسه في هذا المخبأ... كلا.. وإنما كان الغرض هو أن يتمكن "**كورتيس**" من رفع غطاء الصندوق دون أن يلاحظه أحد ... إن الخطة هي خطة "**كورتيس**" ومن وحيه وتدبيره .. هكذا نرى "**كلايتون**" يختبئ في الصندوق ... ولايلبث المخدر الخفيف الذي دسه له "**كورتيس**" في كأس الشراب أن يفعل مفعوله ... يغيب عن الوعي ... وعندئذ يرفع "**كورتيس**" غطاء الصندوق ويضرب ... ذلك والفونوغراف دائر يعزف نغمات الرقص مرارا وتكرارا ...

قلت أخيرا بعد أن استطعت الكلام لشدة ذهولي :

– لكن لماذا ؟ .. لماذا ؟

فهز "**بوارو**" كتفيه ، ثم قال :

– لماذا انتحر رجل بإطلاق الرصاص على رأسه ؟ ...لماذا تبارز اثنان من الإيطاليين ؟ .. إن "**كورتيس**" إنسان ملتهب العواطف متأجج الغرائز ... إنه

كان يشتهي "**مرغريت كلايتون**" ويريدها ... وإذا تم له إزاحة زوجها والعقيد "**ريتش**" ، فإنها لابد أن تتجه إليه أو هذا ما تصوره ...

ثم أضاف "**بوارو**" قائلا وهو ماض في تأملاته :

– هؤلاء النساء الجميلات .. كم هن خطرات ! ...لكن من ناحية أخرى يالها من خطة جهنمية أبدى فيها القاتل عبقرية خارقة !

لكن عبقريته لن تنقذه من حبل المشنقة ، بعد أن تصدى له "**هركيول بوارو**" ... ولا يفل الحديد إلا الحديد ، يا صديقي العزيز ...

*****

حديقة الموت

رتب "هركيول بوارو" الرسائل الواردة إليه في بريده اليومي أمامه بعناية ثم تناول أولاها وتفحص العنوان برهة ، وما لبث أن شق ظرف الرسالة من الخلف بفتاحة صغيرة كان يضعها على مائدة الفطور لهذا الغرض وأخرج محتويات الظرف . . .

كان ثمة ظرف آخر مختوم بعناية بشمع وردي ومؤشر عليه بعبارة "خاص وسري" .

ارتفع حاجبا "بوارو" قليلا فوق رأسه الشبيه بالبيضة وغمغم لنفسه قائلا :

– صبرا . . . سوف نرى . . .

ومرة أخرى أعمل الفتاحة الصغيرة . . . وفي هذه المرة تكشف عن رسالة مكتوبة بخط مهتز . . . وقد وضعت خطوط للتأكيد تحت كلمات متعددة في الرسالة. . . .

بسط "هركيول بوارو" الرسالة وأخذ في قراءتها . . . .

كانت مصدرة مرة أخرى بعبارة (خاص وسري) ، وقد سطر في الجانب الأيمن العلوي هذا العنوان "روزبانك تشارما نزجرين ، باكس" ، وتاريخ 21 آذار (مارس) . . . وكانت بالنص الآتي :

عزيزي السيد "بوارو" :

لقد أشير عليّ أن أتصل بك من قبل صديق فاضل يعرف القلق والكرب اللذين عانيتهما أخيرا . . . وليس معنى هذا أن ذلك الصديق يعرف ظروف الموقف الفعلية ، فهذه قد أبقيتها سرا لايعرفه أحد غيري؛ نظرا لخصوصيته البالغة، وقد أكد صديقي أنك مثال الحرص والتبصر ، وأنه لن يكون ثمة خوف

من توريطي في موقف أمام البوليس ، إذا ثبتت صحة الشكوك والشبهات القائمة عندك ، وهو ما أكره كل الكره أن يتطور إليه الأمر . . . ولكن هناك بالتأكيد احتمال لأن أكون مخطئة تماما . . فإنني لا أشعر بأنني في أحوالي الطبيعية هذه الأيام وأنا أعاني الأرق و ذبول مرض شديد انتابني في الشتاء الماضي ، بحيث لا يتيسر لي أن أبحث الأمر بنفسي واستقصى حقيقته . والواقع أنه ليست لدي الوسائل ولا القدرة لكي أفعل هذا .

ومن ناحية أخرى لابد لي أن أكرر مرة أخرى أن هذه مسألة عائلية دقيقة كل الدقة ، وإنني أريد لاعتبارات كثيرة أن يسدل الستار على المسألة كلها وتبقى طي الكتمان ، فإذا أتيح لي أن أطلع على الحقائق الخافية فسوف يكون بإمكاني أن أعالج الموقف بنفسي وهو ما أفضل أن أفعله . إنني أوضحت لك الظروف بما فيه الكفاية ، فإذا قبلت أن تتكفل بهذا التحقيق فلعلك تبلغني بهذا على العنوان المبين أعلاه . .

مع صادق التحية والاحترام – "**إميليا باروبي**"

قرأ "**بوارو**" الرسالة مرتين . . . ." ومرة ثالثة ارتفع حاجباه قليلا ، وما لبث أن وضع الرسالة على جانب والتفت إلى الرسالة التالية في مجموعة البريد الوارد وفي تمام الساعة العاشرة دخل غرفة الآنسة "**ليمون**" سكرتيرته الخاصة التي كانت جالسة في انتظار تعليماته . . .

كانت الآنسة "**ليمون**" في الثامنة والأربعين ، كالحة الوجه متنافرة العظام ، ولكنها كانت مثل "**بوارو**" تعشق الترتيب والنظام ، ورغم مقدرتها على التفكير وتشغيل خلايا ذهنها فإنها لم تكن تفكر إلا حينما يطلب منها ذلك . . . وقدم إليها "**بوارو**" بريد الصباح قائلا :

– تكرمي يا آنسة بكتابة ردود رفض على هذه الخطابات مصوغة بالعبارات

المناسبة ..

فأجرت الآنسة "**ليمون**" عينيها على الرسائل المختلفة وهي تكتب كلمات هيروغليفية موجزة على كل رسالة بخط غير مقروء إلا لها وبرموز تراوحت بين (دقيق مثل الصابون) و(صفعة على الوجه) و(مواء القطط) و(موجز) وهكذا.. وبعد أن أتمت هذا رفعت رأسها عن الرسائل تنتظر مزيدا من التعليمات...

فناولها "**بوارو**" رسالة "**إميليا باروبي**" ... وبعد أن أخرجتها من غلافها المزدوج قرأتها ثم تطلعت إليه مستفسرة ، وقالت وقد شرعت قلمها على أهبة الاستعداد فوق مفكرة الاختزال :

– نعم يا سيد "**بوارو**" ؟

– ما رأيك في هذه الرسالة يا آنسة "**ليمون**" ؟

فرفعت الآنسة "**ليمون**" الرسالة مقطبة قليلا وقرأتها مرة ثانية .....

كان مضمون أية رسالة لا يعني شيئا في نظر الآنسة "**ليمون**" إلا من ناحية إعداد رد مناسب عليها .. ونادرا ما كان مخدومها يطلب الاستعانة بصفاتها الإنسانية إلى جانب مقدرتها الوظيفية .. والواقع أن هذا كان يكدر الآنسة "**ليمون**" إلى حد ما ، فإنها كانت كالآلة الصماء لا يعنيها بحال شيء من المشاكل الإنسانية ... كانت هوايتها الحقيقية في الحياة هي إتقان الأعمال المكتبية وإجادة وظيفتها كسكرتيرة خاصة إجادة يحسدها عليها كل إنسان... ورغم ذلك كان "**بوارو**" يعرف تماما أن لها ذكاء وخبرة كبيرين في مشاكل الناس ... ولهذا قال لها :

– خيرا .

فأجابت الآنسة "**ليمون**" قائلة :

– سيدة عجوز ، تبدو مرتاعة جداً ... أسلوبها غامض ولا تعطي معلومات

تذكر ...

فقال "**هركيول بوارو**" :

- نعم ... إنني لاحظت هذا ...

وشرعت الآنسة "**ليمون**" القلم فوق المفكرة مرة أخرى مؤملة أن تصدر التعليمات التي ترجوها فاستجاب "**بوارو**" قائلا :

- اكتبي لها أنه سوف يشرفني أن أزورها في أي موعد تحدده ، إلا إذا فضلت أن تجيء إلى هنا لاستشارتي .. لا تكتبي الرد على الآلة الكاتبة ... اكتبيه بخط اليد ...

- حسنا يا سيد "**بوارو**" ...

وقدم إليها "**بوارو**" رسائل أخرى قائلا :

- هذه فواتير ...

فأخذت الآنسة "**ليمون**" تصنف الفواتير بسرعة بيد خبيرة ... وقالت :

- سأدفع قيمة الفواتير ، إلاهاتين الفاتورتين ...

- ولماذا هذا الاستثناء ؟ ... لاأجد فيهما أي غلط ...

- إنهما من شركتين بدأت تعاملك معهما منذ فترة صغيرة ، وليس من الأصول أن تسرع بالسداد لئلا يظنون أنك متلهف على بضائعهما ...

فغمغم "**بوارو**" قائلا :

- آه ! إنني أحني الرأس أمام خبرتك بأصول البيع والشراء في "**إنجلترا**" .

فقالت الآنسة "**ليمون**" بلهجة لها خطورتها :

- ليس هناك شيء لا أعرفه عن التجارة والتجار .

وانهمكت على الأثر في عملها بهمة غريبة ...

*****

تم إعداد الرد على رسالة الآنسة " **إميليا باروبي**" وإرساله ... لكن لم يرد بشأنه أي تعقيب ... فخطر لـ"**بوارو**" أن السيدة العجوز ربما حلت المشكلة بنفسها .. ومع ذلك فقد خامره شيء من الدهشة؛ لأنها لم تكتب في هذه الحالة كلمة للمجاملة تبدي فيها أن خدماته أصبحت غير مطلوبة ...

ثم حدث بعد مضي خمسة أيام أن الآنسة "**ليمون**" قالت له بعد أن تلقت منه تعليمات اليوم :

– بخصوص الآنسة "**باروبي**" التي كتبنا إليها ذلك الرد على رسالتها ... ليس من المستغرب أننا لم نتلق منها أي رد ... فقد تُوفيت ...

فقال "**هركيول بوارو**" بصوت خافت كان أقرب إلى الجواب منه إلى السؤال :

– آه ... توفيت !

وفتحت الآنسة "**ليمون**" حقيبة يدها وأخرجت منها قصاصة جريدة قائلة :

– إنني قرأت الخبر في مترو الأنفاق وقطعته من الجريدة ...

وقدمت إليه القصاصة التي قطعتها بمقص من صفحة المواليد والوفيات وأخبار الزواج في جريدة "**المورنتج بوست**" ، فقرأ النبذة التالية :

" توفيت فجأة يوم 26 آذار (مارس) "**إميليا جين باروبي**" في منزلها "**روزبانك**" ، "**تشارمانز جرين**" ، بالغة الثالثة والسبعين ،... غير مرغوب إرسال أكاليل ورد" قرأ "**بوارو**" النبذة مرة ثانية ... وغمغم بصوت خافت :

– توفيت فجأة ...

ثم قال بنشاط :

– تكرمي بكتابة هذه الرسالة يا آنسة "**ليمون**" ...

وسرعان ما نشط قلم الآنسة "**ليمون**" إلى تدوين التعليمات باختزال

دقيق... طبقا للنص التالي :

عزيزتي الآنسة "**باروبي**" ..

" لم أتلق أي رد منك .. ولكن نظرا لأنني سأكون في منطقة "**تشارمانز جرين**" يوم الجمعة فسوف أزورك في ذلك اليوم وأناقش معك بالتفصيل الموضوع الذي أشرت إليه في خطابك ...

المخلص : "**هركيول بوارو** "

وأضاف "**بوارو**" قائلا :

- اكتبي هذا الرد على الآلة من فضلك ، وإذا أرسلت الخطاب في الحال فإنه سيصل إلى "**تشارمانز جرين**" هذه الليلة .

وفي اليوم التالي ورد خطاب محفوف بالسواد كان بالنص الآتي :

"سيدي العزيز

ردا على خطابك فإن عمتي ، الآنسة "**باروبي**" ، توفيت يوم 26 الجاري ، وهكذا فإن الموضوع الذي تتكلم عنه لم يعد له أهمية .

مع وافر التحية

" **ماري ديلافونتين**"

ابتسم "**بوارو**" لنفسه مفكرا :آه ! هذا ما سوف ننظر فيه .... إلى الأمام ! إلى "**تشارمانز جرين** " !

*****

كان " **تشارمانزجرين** " منزلا صغيرا أنيقا تحف به حديقة غناء زاهية

الخضرة...

وقد توقف "هركيول بوارو" في ممشى الحديقة وهو في طريقه إلى الباب الأمامي وجعل يتطلع حوله معجبا بأحواض الورود البازغة التي نسقت بنظام وعناية على جانبي الممشى وكانت تبشر بمحصول وافر في الأشهر المقبلة ، أما في هذا الفصل فقد أينعت أزهار البنفسج والتيوليب والزنابق الزرقاء ، وكان الحوض الأخير تحف به في جزء منه بعض أصداف ...

غمغم "بوارو" لنفسه : ما أغنية الأطفال التي يرددونها في المدارس الأولية ؟ ما أبدع حديقتك يا سيدة "ماري" دون كل الناس ، وبها الأزهار الصدفية وذات الأجراس، والوصيفات الجميلات يتعهدنها على الصفين كالحراس...

واختتم "بوارو" تأملاته قائلا لنفسه : ربما لايكون هنا صف من الوصيفات... لكن على الأقل وصيفة واحدة تجعل هذه الحديقة منطبقة على ما جاء في الأغنية ! ..

وفتح الباب الأمامي ولاحت خادمة قصيرة نظيفة المظهر ذات (مريلة) تتطلع في ارتياب إلى الرجل الأجنبي الهيئة بنظارته وشاربه الكثيف الذي وقف يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع في الحديقة الأمامية .. ورأى فيها فتاة صغيرة بادية الملاحة، زرقاء العينين، موردة الخدين ...

ومهما يكن فقد رفع "بوارو" قبعته تحية وخاطبها قائلا :

– معذرة ... لكن هل الآنسة "إميليا باروبي" تقيم هنا ؟

شهقت الفتاة واتسعت عيناها قائلة :

– أوه يا سيدي ألم تعرف ؟ .. إنها توفيت ... وكانت وفاتها فجائية .. يوم الثلاثاء ليلا ...

وتوقفت برهة مترددة تتقاسمها غريزتان قويتان .... الأولى سوء الظن بالزائر

الأجنبي والثانية الاستمتاع المحبب عند طبقتها وهو الكلام بتوسع عن موضوع المرض والموت . . .

قال لها "بوارو" متجاهلا الحقيقة :

– هذه مفاجأة . . . مذهلة . ! كان عندي موعد لمقابلة السيدة اليوم . . على أي حال ربما يمكن أن أقابل السيدة الأخرى التي تقيم هنا . . .

بدت الخادمة متشككة قليلا وهي تقول :

– السيدة ؟ . . ربما يمكنك أن تقابلها ، لكنني لاأعرف إن كانت تريد مقابلة أحد أو لا تريد . . .

فقال "بوارو" وهو يناولها بطاقة :

– إنها ستقابلني . . .

كان لنبراته المتمكنة تأثيرها . فإن الخادمة الموردة الوجه تراجعت وأدخلت "بوارو" إلى غرفة جلوس في يمين الصالة . . . ولم تلبث أن ابتعدت بالبطاقة لاستدعاء سيدتها . . .

راح "بوارو" ينظر حوله . . . كانت الغرفة عادية الأثاث والزخارف ، وليس بها شيء خارج عن المألوف يشير إلى شخصية أصحابها . . .

وفجأة شعر "بوارو" بحسه المرهف أن هناك عينين تراقبانه . . . فاستدار حوله مرة واحدة وإذا هو يرى فتاة وقفت في مدخل الشرفة تنظر إليه بعينين مرتابتين . . كانت صغيرة الجسم، شاحبة الوجه، ذات شعر حالك السواد . . . . .

ولم تلبث أن دخلت . . وما إن حياها "بوارو" برأسه حتى انفجرت فجأة قائلة :

– لماذا جئت ؟

لم يجب "بوارو" . . . واكتفى برفع حاجبيه . . . فقالت :

– أنت لست من المحامين ؟

كانت تتكلم إنجليزية جيدة ولكن السامع لم يكن يتردد في الجزم بأنها ليست إنجليزية قال لها :

– ولماذا أكون من المحامين يا آنسة ؟

جعلت الفتاة تحدق إليه في سخط واستياء ثم راحت تقول :

– ظننت أنك منهم ! ظننت أنك جئت لكي تقول إنها لم تكن تعرف ما كانت تفعله ... إنني سمعت عن مثل هذه الأمور ! ... عن كون الإنسان غير متمالك لقواه العقلية .. لكن هذا غيرصحيح ... إنها كانت تريد أن آخذ الميراث ، وسوف آخذه ... وسوف أبحث عن محام لي إذا لزم الأمر ... إن الميراث من حقي ! ... إنها كتبت وصية بهذا .. وهو ما سوف يكون ..

وفي هذه اللحظة فُتح الباب ودخلت امرأة طويلة القامة قالت كلمة واحدة:

– **"كاترينا"** !

وسرعان ما انكمشت الفتاة على نفسها واحمرّ وجهها ، وغمغمت كلاما ، ثم انسحبت عن طريق الشرفة ...

والتفت **"بوارو"** لمواجهة القادمة التي وضعت حدا للموقف بكلمة واحدة ... كان صوتها ينم عن التسلط ، والازدراء ، والسخرية .. وقد أدرك في الحال أنها صاحبة المنزل ... **"ماري ديلافونتين"** ...

قالت له :

– السيد **"بوارو"** ... إنني كتبت إليك ردا ...يظهر أنك لم تتسلم خطابي...

– بكل أسف ... كنت غائبا عن **"لندن"** ...

– آه ... فهمت ... هذا هو التفسير إذن لابد أن أعرفك بنفسي ... اسمي

"**ديلافونتين**" .. وهذا زوجي ... وكانت الآنسة "**باروبي**" عمتي ..

كان السيد "**ديلافونتين**" قد دخل بأتم هدوء حتى لم يلاحظ قدومه ... كان رجلا طويل القامة أشيب الشعر يدلك ذقنه بطريقة عصبية .. وكان دائم التطلع إلى زوجته حتى بدا واضحا أنه ينتظر أن تأخذ المبادأة في الحديث..

قال "**هركيول بوارو**" :

– إنني آسف جداً لتطفلي عليكم في ظروف الحداد العائلي ..

فقالت السيدة "**ديلافونتين** " :

– إنني أدرك تماما أنها ليست غلطتك ... إن عمتي توفيت يوم الثلاثاء ليلا.. وكانت وفاتها غير متوقعة .

فقال السيد "**ديلافونتين**" :

– غير متوقعة بالمرة ... كانت ضربة شديدة ...

وفي خلال ذلك كانت عيناه تراقبان نافذة الشرفة التي انسحبت الفتاة الأجنبية عن طريقها ...

قال "**هركيول بوارو**" :

– إنني أقدم اعتذاري ... وأنسحب ...

وتقدم خطوة نحو الباب ...

فقال "**ديلافونتين**" :

– لحظة واحدة ... قلت إن .. إنه كان عندك موعد مع العمة "**إميليا**" ؟

– تماما ...

فقالت الزوجة :

– هلا أخبرتنا عن الموضوع ؟ ... إذا كان هناك شيء يمكن أن نفعله ...

فقال "**بوارو**" :

– كان موضوعا خاصا . . .

ثم أضاف بهدوء :

– أنا بوليس سري . .

وقع من يد "**ديلافونتين**" تمثال صغير كان يعبث به . . . وبدت الحيرة على زوجته . . . ثم قالت و هي تحدق إلى "**بوارو**" :

– بوليس سري ؟ . . . وكان عندك موعد مع عمتي ؟. . . لكن يا للغرابة ! الا يمكنك أن تقول لنا أكثر من هذا يا سيد "**بوارو**" يبدو . . . يبدو أن الموقف أقرب إلى الخيال !

لزم "**بوارو**" الصمت برهة . . . وعندما تكلم اختار كلماته بدقة قائلا :

– من الصعب عليّ ياسيدتي أن أعرف ماذا يجب أن أفعل . .

وقال السيد "**ديلافونتين** " :

– اسمع . . . ألم تذكر لك شيئا عن "**بولنديين**" ؟

– "**بولنديين**" ؟

فسارعت زوجته تقول :

– لا تكن أحمق يا "**هنري**" !

فانهار "**ديلافونتين** " قائلا :

– آسف . . . آسف . . كنت فقط أخمن . . .

وتطلعت "**ماري ديلافونتين** " إلى "**بوارو**" بنظرة صريحة قائلة :

– لو أمكنك يا سيد "**بوارو**" أن تخبرنا بأي شيء ، لكان هذا من دواعي سروري . . . أؤكد لك أن عندي أسبابا خاصة لهذا الطلب . .

فقال السيد "**ديلافونتين**" وقد بدا الانزعاج في هيئته :

– احترسي يا "**فانالي**" . . قد لايكون هناك شيء في الأمر . . .

ومرة أخرى أسكتته بنظرة ، قائلة :

– حسنا يا سيد "بوارو" .

أما "**بوارو**" فقد هز رأسه بتؤدة ورصانة مبديا أسفه قائلا :

– في الوقت الحالي يا سيدتي يجب ألا أقول شيئا . . .

وانحنى وتناول قبعته ، واتجه إلى الباب . .

وسارت "**ماري ديلافونتين** " معه إلى الصالة وعندما وصل إلى عتبة الباب توقف ونظر إليها قائلا :

– أظنك مغرمة بحديقتك يا سيدتي . .

– أنا . . نعم . . .إنني أمضي وقتا كثيرا في تعهدها .

– أقدم إليك أصدق التهنئة. . .

وانحنى مرة أخرى وسار إلى البوابة . . وعندما جاوزها وانعطف إلى اليمين نظر إلى الخلف وسجلت عيناه انطباعين وهما : وجه شاحب يراقبه من نافذة في الدور الأرضي ، ورجل له هيئة مشدودة عسكرية يخطو جيئة وذهابا على الرصيف المقابل . .

أومأ "**بوارو**" لنفسه قائلا : مؤكد هناك فأر في هذا الجحر . . فما الخطوة التي يجب أن يخطوها القط الآن ؟

واستقر قراره . . . فاتجه إلى مكتب بريد حيث أجرى مكالمتين تليفونيتين . . وبدا له أن النتيجة كانت مرضية . . . فقصد إلى قسم بوليس "**تشارمانزجرين**" حيث سأل عن المفتش "**سيمز**" . . .

كان المفتش "**سيمز**" رجلا بدينا ضخما دمث الخلق . . .

وقد ابتدره على الفور قائلا :

– السيد "بوارو"؟ . . . هذا ما قدرته ! . إنني تلقيت في هذه اللحظة مكالمة

تليفونية من رئيس بوليس المنطقة بخصوصك ، أخبرني فيها بأنك ستحضر عندنا . تعال إلى مكتبي . . .

وما أن أغلق الباب عليهما حتى دعا "بوارو" إلى الجلوس وجلس المفتش في مقعد آخر واتجه بنظرة استفسار حادة إلى زائره قائلا :

– أنت أسرع من البرق يا سيد "بوارو" . . جئت لمقابلتنا بخصوص قضية "روزيانك" قبل أن نجزم بأنها قضية بالفعل . . ما الذي أوصلك إليها ؟

أخرج "بوارو" الرسالة التي تلقاها وقدمها إلى المفتش . . فقرأها هذا باهتمام ثم قال :

– شيء طريف . . . المشكلة أنها قد تنطوي على احتمالات كثيرة . . . من سوء الحظ أن الرسالة لم تكن أوضح مما هي عليه ، وإلا لوجدنا فيها مساعدة أكثر . . .

– لو كان ذلك لما كانت هناك حاجة إلى مساعدة .

– تقصد . . .

– إن صاحبتها كانت عندئذ ستبقى بين الأحياء . . .

– هل تسبق الحوادث إلى هذا الحد ؟ . . . لكن ربما كنت على حق . .

– أرجو يا صديقي المفتش أن تزودني بالحقائق . . . إنني لا أعرف شيئا على الإطلاق . . . .

– هذه المسألة بسيطة . . . إن السيدة العجوز أصيبت بنوبة بعد تناول العشاء مباشرة يوم الثلاثاء ليلا . . . كانت نوبة شديدة . . . تشنجات . . وآلام حادة . . وما إلى ذلك . . . فأرسلوا في استدعاء طبيب وفي الوقت الذي وصل فيه كانت قد توفيت . . . وكانت الفكرة هي أنها تُوفيت بسبب نوبة مرضية . . لكن الطبيب لم يسترح إلى الحالة العامة . . . وقد راح يداور ويناور فترة طويلة ولكنه

أوضح أنه لا يستطيع أن يعطي شهادة وفاة ... هذا هو الموقف فيما يتعلق بالعائلة .. إنهم ينتظرون نتيجة التشريح الرسمي للجثة .. أما نحن فقد تقدمنا خطوة أكثر ، فقد أبلغنا الطبيب بالنتيجة دون تردد بعد أن قام بتشريح الجثة مع جراح البوليس ، والنتيجة لاشك فيها ولا التباس فإن السيدة العجوز توفيت بسبب جرعة كبيرة من سم "**الستريكنين**" ...

– آه !

– هذا هو الواقع ... إنها قضية غامضة ... والسؤال هو : من الذي دس لها السم ؟ لابد أن تكون الجرعة قد أعطيت لها قبل الوفاة مباشرة ... وكانت الفكرة الأولى هي أنها أعطيت في طعامها للعشاء ...لكن هذا بصراحة أمر مستبعد ، فقد تناولوا العشاء الذي كان مؤلفا من حساء الخرشوف وقد قدم إليهم من "**سلطانية**" مشتركة ، مع الفطير بالسمك ، وكعكة بالتفاح ....

– قلت إنهم تناولوا . . .من هم ؟

– الآنسة "**باروبي**" ... والسيد "**ديلافونتين**" وزوجته ...والآنسة "**باروبي**" لها وصيفة هي شبه ممرضة وخادمة خاصة ، وهي نصف بولندية ... وقد تناولت بقايا العشاء بعد نقله من غرفة الطعام ... وهناك خادمة في المنزل، ولكنها خرجت تلك الليلة في راحتها الأسبوعية بعد أن تركت الحساء على الموقد ، والفطير بالسمك في الفرن ، وكانت كعكة التفاح باردة ... إن الثلاثة كلهم أكلوا من الطعام نفسه ... وبصرف النظر عن هذا فلست أظن أنه يمكن وضع السم للإنسان لكي يبتلعه على الطعام بهذه الطريقة ... إن هذه المادة مرة لاذعة ، وقد أخبرني الطبيب أنه يمكن أن يحس الإنسان بطعمها في أي سائل حتى ولو كان بنسبة واحد في الألف ...أو شيء من هذا القبيل...

– ما رأيك في القهوة ؟

– القهوة أقرب ... لكن السيدة العجوز لم تكن تشرب القهوة قط ...

– فهمت وجهة نظرك ... نعم يبدو أن القضية عويصة ... ماذا شربت العجوز في أثناء العشاء ؟

– ماء ...

– هذا يجعل الموقف أكثر صعوبة ... هل كانت العجوز ذات مال ؟

– أظن أنها كانت متيسرة .. بالتأكيد نحن لم نلم بعد بكل التفاصيل ... وأظن مما استخلصته من الوقائع أن "**ديلافونتين**" وزوجته في حالة فقر مدقع... وكانت السيدة العجوز هي التي تتولى الإنفاق على الأسرة ...

ابتسم "**بوارو**" ابتسامة يسيرة ... ثم قال :

– إذن فانت تشتبه في الزوجين ؟ ... أيهما ؟

– لست أقول بالضبط إنني أشتبه في أي منهما بصفة خاصة ، لكن الموقف هو هكذا : إنهما كل أقاربها الأقربين ، وموتها يجلب لهما مبلغا كبيرا من المال ولاشك ... إننا نعرف جميعا ما هو الطبع الإنساني ...

– هو أحيانا غير إنساني .. نعم ... هذا صحيح تماما ... وهل لايوجد شيء آخر أكلته العجوز أو شربته ؟

– حسنا ... في الحقيقة ...

– آه ... هذا هو المطلوب . إني كنت أشعر أن عندك شيئا آخر ... الحساء والفطير بالسمك ... والكعك بالتفاح ... كل هذا لابأس به ... الآن ننتقل إلى صلب الموضوع ..

– إن العجوز اعتادت تناول برشامة قبل الأكل ...وليست هذه بالتأكيد من نوع الأقراص والحبوب المعروفة ... ولكنها غلاف من الورق الأزرق الذي يعبأ المسحوق الدوائي بداخله ... ولم تكن البرشامة أكثر من دواء يساعد على

الهضم لاضرر منه ....

– رائع ... لاشيء أسهل من ملء برشامة من هذا النوع بسم "**الستريكنين**" واستبدالها ببرشامة من الموجودفي العلبة ! . وهي تنزلق في البلعوم بجرعات من الماء ولايكون لها أي طعم ...

– هذا صحيح ... لكن المشكلة هي أن الفتاة هي التي أعطتها لها ...

– الفتاة البولندية ؟

– نعم ... "**كاترينا ريجر**" ... إنها كانت شبه وصيفة وممرضة ومرافقة للعجوز .. فما الذي يدعو فتاة كهذه لكي تدس لها السم ؟ ... إن موت الآنسة "**باروبي**" يؤدي إلى أن تفقدعملها وتتشرد ، والبحث عن عمل من الأمور الشاقة هذه الأيام .. وهي لم تتدرب على أي عمل خاص ...

فقال "**بوارو**" :

– ومع ذلك ... إذا كانت علبة البرشام في متناول الأيدي ، فمن الممكن أن تمتد إليها يد شخص آخر في المنزل ..

– من الطبيعي أن نبحث هذه النقطة يا سيد "**بوارو**" .. ولابأس أن أقول لك إننا نقوم بتحرياتنا في هذه النواحي ، ولكن بهدوء ... وعلى سبيل المثال متى جهزت علبة البرشام لآخر مرة ، وأين تحفظ عادة ... ثم هناك محامي الآنسة "**باروبي**" ..إنني على موعد معه غدا ... وكذلك رئيس البنك الذي نتعامل معه ... لايزال هناك الكثير مما نقوم به .

وعندئذ نهض "**بوارو**" قائلا :

– أرجو منك مكرمة أيها المفتش .. وهي أن توالينى بكل ما يجد في القضية . وإليك رقم تليفوني ..

– بالتأكيد يا سيد "**بوارو**" ... رأسان خير من رأس واحد بالتأكيد ...

وفضلا عن ذلك لابد من اشتراكك في هذه القضية ، بعد أن تلقيت تلك الرسالة من الآنسة "**باروبي**" .

– هذا كرم منك يا سيدي المفتش ..

وصافحه "**بوارو**" بأدب جم وانصرف على الفور ..

*****

في عصر اليوم التالي دعي "**بوارو**" إلى التليفون ...

وقال المتكلم :

– السيد "**بوارو** ؟ " .. أنا المفتش "**سيمز**" ... إن الأمور بدأت تتكشف وتستقيم في تلك القضية التي نعرفها أنت وأنا ...

– أحقًّا ؟ ... هات ما عندك بالله !

– إليك الخبر رقم واحد ، وهو خبر ضخم ، ... إن الآنسة "**باروبي**" تركت في وصيتها ميراثا صغيرا لابنة أخيها ، وأوصت بكل شيء إلى "**كاترينا**" ، تقديرا لخدماتها ورعايتها لها ... إن هذا يغير تكييف القضية كل التغيير ...

في هذه اللحظة وثبت في خاطر "**بوارو**" صورة فتاة شاحبة بادية الاستياء تقول بصوت منفعل : (إن الميراث من حقي ... إنها كتبت وصية بهذا ، وهو ماسوف يكون) إذن فإن الميراث لن يهبط على " **كاترينا** " مفاجاة ... فإنها كانت تعرف بأمره سلفا ...

ومضى صوت المفتش "**سيمز**" يقول عبر التليفون :

– الخبر رقم 2 .. لا أحد غير "**كاترينا**" تداول علبة البرشام ...

– هل أنت متأكد من هذا ؟

– إن الفتاة نفسها لا تنكر ذلك ... ما رأيك في هذه النقطة ؟

– طريفة إلى أبعد حد !

– إننا لانريد الآن أكثر من شيء واحد ... وهو الدليل على كيفية حصولها على مادة "الستريكنين" ... ولكن يصعب علينا أن نعرف ذلك .

– لكن ألم توفق بعد من هذه الناحية ؟

– إنني بدأت التحري توًا ...فإن التحقيق الرسمي لم يتم إلا صباح اليوم.. وماذا حدث في التحقيق ؟

– أجل لمدة أسبوع ...

– والفتاة "كاترينا" ؟

– إنني طلبت حجزها للاشتباه .. لا أريد أن أتعرض للمخاطر ... فقد يكون لها أصدقاء لهم نفوذ ويحاولون إبعاد التهمة عنها ...

– فقال "بوارو" :

– لا .. لا أظن أن لها أي أصدقاء ...

– أحقًا ؟ ... ما الذي يجعلك تقول هذا يا سيد "بوارو" ؟

– هذه مجرد فكرة خطرت لي ... أليست عندك أخبار أخرى ؟

– لاشيء مما له أهمية . كل ما هناك أن الآنسة "باروبي" كانت في الأيام الأخيرة تضارب على الأسهم والسندات المملوكة لها ، ولابد أنها خسرت مبلغا كبيرا ... المسألة لها حكاية غريبة ، لكن لاأعتقد أن لها أي مساس بمجرى القضية العام ... أعني ليس في المرحلة الحالية ...

– ربما كنت على حق ... لك شكري الخالص على هذه المعلومات القيمة ..

– العفو ... أنا رجل عند ظني .. فقد رأيتك مهتما بالقضية ... ومن يدري، فقد يمكنك أن تمد لي يد المساعدة قبل أن تنتهي القضية...

– إن هذا يكون من دواعي سروري العظيم .. وربما تجد المساعدة المطلوبة إذا

أمكنني ، مثلا ، أن أضع يدي على صديق معين للفتاة "**كاترينا**" ..

فقال المفتش "**سيمز**" بلهجة شفت عن الدهشة :

– أظنك قلت إن الفتاة ليس لها أي أصدقاء ..

فقال "**هركيول بوارو**" :

– كنت مخطئا .. فلها صديق واحد ...

وقبل أن يتمكن المفتش من توجيه سؤال آخر ، وضع "**بوارو**" سماعة التليفون وبوجه تعلوه أمارات الجد ساقته قدماه إلى غرفة السكرتيرة الآنسة "**ليمون**" حيث كانت جالسة أمام الآلة الكاتبة ... فرفعت يديها عن مفاتيح الآلة لدى قدوم مخدومها وتطلعت إليه متسائلة .. فقال "**بوارو**" :

– أريد أن تتصوري نفسك في وضع معين ...

لم تتمالك الآنسة "**ليمون**" أن أنزلت يديها إلى حجرها مستسلمة ... إنها لا تتقن في الدنيا سوى النسخ على الآلة الكاتبة ، ودفع فواتير الحسابات ، واستيفاء الاستمارات، وتدوين المواعيد ... أما أن يطلب منها أن تتصور نفسها في موقف افتراض ، ففي هذا ما يضايقها كل المضايقة ... ولكنها رغم ذلك تقبلت هذا الموقف كجزء كريه من واجبات عملها ...

بدأ "**بوارو**" يقول لها :

– أنت فتاة بولندية ...

فقالت الآنسة "**ليمون** " :

– فليكن ..

– وأنت وحيدة ولا صديق لك في هذه البلاد ...وهناك أسباب خاصة تجعلك لا تحبين العودة إلى "**بولندا**" ... وأنت تعملين كممرضة ووصيفة ومرافقة لسيدة عجوز ، وأنت صابرة ممتثلة ولا تبدين أقل شكوى ...

فقالت الآنسة "ليمون" مرة أخرى :

– فليكن ....

– والسيدة العجوز تحبك وتقرر أن تترك ثروتها لك ... وهي تخبرك بهذا .

وتوقف "بوارو" برهة ... ومرة ثالثة قالت الآنسة " ليمون" :

– فليكن ...

– ثم لا تلبث السيدة العجوز أن تكتشف شيئا ... ربما يكون مسألة متعلقة بالمال ... وربما وجدت أنك لم تكوني أمينة معها ... أو ربما يكون الأمر أخطر من ذلك كأن يكون مسألة طعام تغير مذاقه ، أو دواء تغير طعمه... على أي حال هي لاتلبث أن تشتبه في أمرك ، وتكتب رسالة إلى بوليس سري مشهور... .بل إلى أشهر بوليس سري وهو أنا ... وكان المقرر أن أزورها بعد ذلك مباشرة ... وهنا تكون البلية ...المهم إذن هو العمل بسرعة ... وهكذا، يحدث قبل وصول البوليس السري أن تموت السيدة العجوز .. وتؤول إليك الثروة ... قولي لي إذن ... هل يبدو هذا معقولا في نظرك ... ؟

فقالت الآنسة "ليمون" :

– معقول جداً ... بالنسبة إلى فتاة بولندية ... أما أنا فلا أقبل أبدا أن أعمل بوظيفة مرافقة لأحد ... إنني أحب واجبات عملي بما فيه الكفاية ... وبالتأكيد أنا لا أتصور أبداً أن أقتل أي إنسان !

تنهد "بوارو" ... وقال في النهاية :

– كم أفتقد صديقي "هيستنجز" ! إنه رجل ذو خيال وتصور ... وله عقلية خصبة .. نعم إن تصوراته دائما خطأ ، ولكن هذا في حد ذاته دليل مرشد لي!

لزمت الآنسة "ليمون" الصمت ... إنها سمعت من قبل عن الكابتن "هيستنجز" صديق "بوارو" الحميم ، ولكنها لم تهتم .. وإنما راحت تنظر في

حنين إلى الصفحة المنسوخة على الآلة الكاتبة أمامها ...

قال "**بوارو**" ساهما :

– إذن فإن هذا يبدو معقولا في نظرك؟

– ألا يبدو معقولا لك أيضا؟

فتنهد "**بوارو**" قائلا :

– ربما كنت على حق ...

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون ... فخرجت الآنسة "**ليمون**" إلى الغرفة المجاورة للرد ثم عادت قائلة :

– هو المفتش "**سيمز**" مرة ثانية ...

أسرع "**بوارو**" إلى التليفون ، فسمع المفتش "**سيمز**" يقول له :

– إننا وجدنا ورقة بها مادة "**الستريكنين**" في غرفة نوم الفتاة كانت مخبأة تحت المرتبة .. في ظني أن هذا يحسم القضية ...

فرد عليه "**بوارو**" قائلا :

– نعم ... أظنه يحسم القضية ....

وكانت نبرات "**بوارو**" تنم عن ثقة مفاجئة ..

وبعد أن ترك سماعة التليفون جلس إلى مكتبه وأخذ يرتب الأوراق التي تعلوه حركات آلية ... ثم غمغم لنفسه : كان هناك شيء خطأ ... إنني شعرت بهذا ، لا لم أشعر به ... لابد أنه شيء رأيته ... إلى العمل يا خلايا المخ السمراء ... فكري ... تأملي ... هل كان كل شيء متمشيًا مع المنطق والعقل؟ ... الفتاة ؟ .جزعها بخصوص المال ؟ . السيدة "**ديلافونتين**" ؟ زوجها وكلامه عن البولنديين ؟ . الغرفة ؟ ... الحديقة ؟ ..آه ! .. نعم ! الحديقة ؟

اعتدل "**بوارو**" في جلسته منتصبا ... ولمع الضوء في عينيه الخضراوين...
وما لبث أن وثب من مكانه وذهب إلى الغرفة المجاورة وقال لسكرتيرته :
– الآنسة "**ليمون**" ... هل تتكرمين بأن تتركي عملك الآن وتقومي بتحريات أريدها عن شيء معين ؟
– تحريات يا سيد "**بوارو**" ؟ أنا آسفة لأنني غير متمكنة من مثل ...
فقاطعها "**بوارو**" قائلا :
– قلت مرة إنك تعرفين كل شيء عن التجار والتجارة ..
فقلت الآنسة "**ليمون**" بثقة :
– مؤكد أعرف هذا ...
– إذن فالمسألة بسيطة .. عليك الآن أن تذهبي إلى حي "**تشارمانزجرين**" وتبحثي عن بائع أسماك ...
فقالت الآنسة "**ليمون**" بدهشة :
– بائع أسماك ؟!
– بالضبط ... بائع الأسماك الذي يزود "**روزبانك**" بالأسماك .. وعندما تعثرين عليه عليك أن توجهي إليه سؤالا واحدا :
وناولها قصاصة ورق ... فأخذتها الآنسة "**ليمون**" وقرأت مضمونها بدون اهتمام ، ثم أومأت برأسها وأغلقت غطاء الآلة الكاتبة ...
وقال لها "**بوارو**" :
– سنذهب إلى "**تشارمانزجرين**" معًا ... أنت إلى بائع الأسماك ... وأنا إلى قسم البوليس ... والمسافة لا تستغرق أكثر من ثلث ساعة ...

✽✽✽✽✽

ما كاد "بوارو" يدخل على المفتش "سيمز" حتى حيّاه هذا في دهشة قائلا :

– أنت سريع يا سيد "بوارو" ! إنني كنت أكلمك بالتليفون منذ ساعة فقط !

– عندي طلب أرجوه منك ...وهو أن تسمح لي بمقابلة هذه الفتاة المدعوة "كاترينا" ... ما اسمها الكامل؟

– "كاترينا ريجر" ... حسنا ... لا أظن أن هناك ما يمنع من ذلك ...

وبدت "كاترينا" أمام "بوارو" الآن أكثر شحوبا وسخطا مما كانت من قبل... فخاطبها "بوارو" بأتم رقة قائلا :

– يا آنسة ... أريد أن تعتقدي أنني لست عدوك أريد أن تخبريني بالحقيقة فراحت تقول متحدية :

– إنني قلت الحقيقة ... قلت الحقيقة لكل إنسان ... إذا كانت السيدة العجوز قد سممت ، فلست أنا التي سممتها ... المسألة كلها غلط ... أنتم تريدون أن تمنعوني من الحصول على حقي في المال ...

كان صوتها حادا ورنانا ، وبدت أقرب إلى فأر صغير محاصر ...

فاستطرد "بوارو" يقول لها :

– أخبريني عن مسألة البرشامة يا آنسة ... ألم تتداولها يد إنسان آخر غير يدك ؟

– إن هذا هو ما قلته ... إن علبة البرشام جهزت في الصيدلية عصر ذلك اليوم... وقد أحضرتها معي في حقيبتي ، وكان ذلك قبل العشاء بفترة قصيرة إنني فتحت العلبة وناولت الآنسة "باروبي" برشامة مع كوب ماء ...

– ألم يلمسها أحد غيرك ؟

– لا ... لم يلمسها أحد غيري.

- هل تناولت الآنسة "**باروبي**" في العشاء غيرالأصناف التي ذكرت لنا ؟ الحساء ، والفطير بالسمك ، والكعك بالتفاح ؟

- لاشيء غير هذا ..

فربَّت "**بوارو**" كتفها قائلاً :

- تشجعي يا آنسة ...مازالت هناك فرصة للحرية ، والمال ، وحياة الراحة أما هي فكانت نظرتها إليه مشوبة بالتشكك والارتياب ...

وعندما خرج "**بوارو**" قال له المفتش "**سيمز**" :

- إنني لم أفهم تماما ما قلته لي في التليفون ... عن وجود صديق للفتاة ..

- فقال "**هركيول بوارو**" :

- لها صديق واحد .. هو أنا !

وانصرف "**بوارو**" من مقر البوليس قبلما يستطيع المفتش "**سيمز**" أن يتمالك نفسه ويسيطر على حواسه..

*****

ما كاد "**بوارو**" يجلس مع الآنسة "**ليمون**" في مشرب شاي "القط الأخضر" حتى طرقت السكرتيرة.صميم الموضوع دون مقدمات قائلة :

- بائع الأسماك اسمه " **رودج**" ، بشارع "**هاي ستريت**" . وأنت على صواب فيما قلت ... باع "دستة ونصف" محار بالضبط ... إنني كتبت ما قاله هنا...

وقدمت إليه الورقة ... فغمغم "**بوارو**" بأتم ارتياح :

- رائع !

انتقل "**هركيول بوارو**" إلى منزل "**روزبانك**" ...ووقف في الحديقة الأمامية والشمس تغرب من خلفه .. فخرجت إليه السيدة "**ديلافونتين**" ...

واستقبلته قائلة بلهجة الاستغراب :

– السيد "بوارو" ! . أراك عدت ؟ !

– نعم ... عدت ....

وتوقف برهة ، ثم استطرد يقول :

– إنني عندما جئت إلى هنا في المرة الأولى ياسيدتي ، ترددت في ذاكرتي أغنية أطفال المدارس التي تقول :

ما أبدع حديقتك يا سيدة "ماري" دون كل الناس ....

وبها الأزهار الصدفية وذات الأجراس ...

والوصيفات الجميلات يتعهدنها على الصفين ، كالحراس ...

وكل الفرق بين الأغنية وبين الواقع يا سيدتي هو أنها لم تكن الأزهار الصدفية بل كانت أصداف المحار ...

قال "بوارو" هذا مشيرا إلى الأزهار . وفي الحال سمعها تشهق وتكتم أنفاسها ... وبان في عينيها سؤال كبير ... فأومأ برأسه قائلا :

– نعم .. عرفت كل شيء ... إن الخادمة تركت طعام العشاء جاهزا ... وسوف تقسم كما تقسم "كاترينا" أن هذا الطعام هو كل ما أكلتموه في العشاء .... والفرق الوحيد هو أنك أنت وزوجك تعرفان وحدكما أنك اشتريت دستة ونصف دستة من المحار؛ إكراما لخاطر العمة الكريمة .. ومن السهل جداً وضع سم "الستريكنين" في المحارة ... إنها تبتلع بسهولة هكذا .. لكن تبقى بعد ذلك الأصداف .. يجب ألا يلقى بها في وعاء الفضلات ... وإلا لرأتها الخادمة ... وهكذا فكرت في أن تزيني بها حافة أحواض الأزهار ... لكنها لم تكن كاملة حول الحوض؛ لأنها لم تكن كافية ... وكان تأثيرها سيئا؛ لأنها شوهت منظر الحديقة الفاتن ... والواقع أن هذه الأصداف المعدودة بدت

لي متنافرة، واسترعت نظري لأول وهلة عند زيارتي الأولى ...

قالت "**ماري ديلافونتين**" :

- أظن أنك خمنت الحقيقة مما جاء في الرسالة .. كنت أعرف أنها كتبت لك.. لكنني لم أعرف مدى ما ذكرته لك ..

فقال "**بوارو**" مراوغا :

- إنني عرفت على الأقل أنها مسألة عائلية ..لو كانت المسألة متعلقة بـ"**كاترينا**" لما كان هناك أي معنى لمحاولة التستر على المشكلة .. لقد فهمت أنك وزوجك كنتما تتلاعبان بالأسهم والسندات المملوكة لعمتك لما فيه مصلحتكما ، وأنها اكتشفت الحقيقة ...

أومأت "**ماري ديلافونتين**" إيجابا ، وراحت تقول :

- إننا كنا نفعل هذا منذ سنوات .. ولم يخطر ببالي أنها من الذكاء والوعي بحيث تفطن إلى الحقيقة .. ثم إنني علمت فيما بعد أنها أرسلت تستعين ببوليس سري ... ثم اكتشفت أيضا أنها ستترك ثروتها لـ"**كاترينا**" ... تلك المخلوقة البائسة الهزيلة !

- ولهذا السبب وضعت ورقة "**الستريكنين**" في غرفة نوم "**كاترينا**" ؟ مفهوم! .. فعلت هذا لكي تنقذي نفسك وزوجك مما قد أكتشفه ، وتلصقي تهمة القتل .. بفتاة بريئة ! ... أليس عندك رحمة يا سيدتي ؟

هزت "**ماري ديلافونتين**" كتفيها .... وراحت تحدق إليه بعينيها الصافيتي الزرقة ... لقد تذكر إتقان تمثيلها يوم زيارته الأولى ، ومحاولتها التغطية أو التمويه من جانب الدوافع الإنسانية والنزعات الرحيمة .....

قالت أخيرا تعقيبا على كلماته ولهجتها تقطر احتقارا :

- تقول الرحمة ؟ ... لتلك الفارة الحقيرة المتآمرة ؟

فقال "هركيول بوارو" بتؤدة :

– أظن يا سيدتي أن كل مشاعرك في الدنيا كانت تنحصر في شيئين اثنين فقط ... أحدهما زوجك ...

وفي الحال رأى شفتيها ترتعشان ... فاضاف قائلا :

– والثاني ... هو حديقتك ....

وأدار النظر حوله ... وبدا كأنه يعتذر بنظراته للأزهار عما فعله ، وعما يوشك أن يفعله ...

*****

لغز عشاق "بولينا"

ما كاد السيد "**باركر باين**" يهبط من الباخرة السياحية في ميناء "**بالما**" بجزيرة "**ماجوركا**" الإسبانية في الساعات المبكرة من الصباح حتى صادفته خيبة أمل شديدة ... فقد كانت الفنادق مليئة ... وأحسن غرفة وجدها كانت شبه دولاب حبيس يطل على حوش داخلي في فندق بوسط البلدة ، وهو ما لم يكن السيد "**باركر باين**" على استعداد لقبوله ... ولكن صاحب الفندق لم يعبأ باستيائه وخيبة أمله ، وقال وهو يهز كتفيه :

– ماذا تريد أن نفعل ؟ ..

كانت "**بالما**" في هذا الفصل الشتوي مهوى السياح الإنجليز والأمريكيين ... وكانت البلدة كلها مزدحمة ... ولهذا كان من المشكوك فيه أن يوفق هذا السيد الإنجليزي إلى العثور على مكان مناسب للإقامة اللهم إلا إذا واصل البحث في بلدة "**فورمنتور**" حيث كانت الأسعار أيضا خيالية ...

وقد تناول السيد "**باركر باين**" القهوة وبعض الشطائر ، وخرج لمشاهدة الكاتدرائية ، ولكنه لم يجد قابلية للاستمتاع بروائع الفن المعماري ...

وكانت الخطوة التالية هي التشاور مع سائق سيارة أجرة طيب القلب ، وانتهت المشاورة بنقل حقائب السيد "**باركر باين**" إلى السيارة ، والاتفاق على رحلة حول الجزيرة في محاولة للعثور– في أثناء الطريق – على فنادق أرخص سعرا ، على أن تكون الوجهة النهائية هي بلدة "**فورمنتور**" ..

*****

بيد أنه قدر لهما ألا يصلا إلى هذه الوجهة ، فإنهما ماكادا يجاوزان الشوارع

الضيقة في بلدة "**بولينا**" ويبتعدان قليلا في اتجاه الشاطئ الدائري حتى وصلا إلى فندق "**بينودورو**" ، وهو فندق صغير قائم على حافة الشاطئ يطل على مشهد طبيعي حالم في هذا الصباح البديع ... وفي الحال عرف السيد "**باركر باين**" أن هذا المكان وحده هو ما يبحث عنه ... فاستوقف سيارة الأجرة واجتاز البوابة الملونة مؤملا أن يجد مكانا يستقر فيه أخيرا...

ولم يكن صاحبا الفندق المسنان يعرفان الإنجليزية والفرنسية ، ولكن الاتفاق تم بصورة مرضية .. فقد خصصت للسيد "**باركر باين**" غرفة مطلة على البحر وأنزلت الحقائب ، ونقد سائق السيارة أجرته ، فانصرف شاكرا وهو يحيي بالإسبانية تحية مرحة ...و نظر "**باركر باين** " إلى ساعته ، ولما وجدها لم تتجاوز حتى الآن العاشرة خرج إلى الشرفة الصغيرة الغارقة في أشعة الشمس الساطعة ، وطلب للمرة الثانية هذا الصباح قهوة وشطائر....

✽✽✽✽✽

كانت هناك أربع موائد ... مائدته ، ومائدة ثانية كانت تنقل منها بقايا طعام الفطور ، ومائدتان مشغولتان ... وحول المائدة المجاورة له مباشرة جلست أسرة مؤلفة من أب وأم وابنتين كبيرتين في السن دل حديثهم على أنهم ألمان ... ومن وراء هذه الأسرة عند ركن الشرفة ، جلست أم وابنها كان من الواضح أنهما من الإنجليز ...

كانت المرأة تناهز الخامسة والخمسين ذات شعر وخطه الشيب وملابس أنيقة محتشمة ، وكانت هيئتها العامة توحي بأنها من معتادات التنقل والأسفار ... وكان الشاب الجالس أمامها في نحو الخامسة والعشرين ، من طراز الشباب الإنجليزي في مثل هذه السن ، وكان واضحا أنه على تمام الانسجام مع أمه.. إذ

كانا يتبادلان النكات والضحكات ، وكان الشاب يتحفها طول الوقت بما أمامهما على المائدة .

وفي خلال حديثهما لاحت من الأم نظرة عابرة إلى ناحية "**باركر باين**" ، فأدرك أنها قد رأت هويته الإنجليزية ولا شك ، وأنه لن يمضي وقت طويل حتى تبادره بإحدى عبارات المجاملة التقليدية ...

ولم يكن "**باركر باين**" يمانع في هذا ... نعم إن مواطنيه الإنجليز في الخارج كانوا يثيرون فيه الملل ، ولكنه كان أميل في عزلته هذه إلى تبادل الحديث قتلا للوقت ...

ولم يلبث الشاب الإنجليزي أن نهض من مكانه وأبدى لأمه ملاحظة ضاحكة ثم دلف إلى داخل الفندق .. فحملت الأم رسائلها وحقيبتها واستقرت في مقعد مواجه للبحرمتجهة بظهرها إلى ناحية "**باركر باين**" وفتحت نسخة من إحدى الجرائد الإنجليزية ...

لكن عين "**باركر باين**" الخبيرة المدربة دلته من حركاتها على أنها لم تدر ظهرها إلا لكي تخفي دموعا ترقرقت في عينيهاتجاهد لكتمانها وإخفاء آثارها ومهما يكن فقد احتسى "**باركر باين**" الجرعات الأخيرة من قهوته وانسحب متراجعا إلى داخل الفندق .. منذ أقل من نصف الساعة كان قد طلب منه التوقيع باسمه في سجل نزلاء الفندق فوقع باسم "**ك . باركر باين**" ... وكانت عيناه قد لاحظتا في الخانة التي تعلو اسمه اسمي السيدة "**تشستر**"، والسيد "**بازيل تشستر**" من "**هولم بارك**" بمقاطعة "**ديفون**" ...

فما لبث وقتها أن تناول القلم وكتب بسرعة فوق توقيعه اسما يقرأ بصعوبة هو "**كريستوفر باين**" ...

ومعنى هذا أن السيدة "**تشستر**" لو كانت تعاني مشكلة تحزنها في بلدة

"**بولينا**" هذه فإن تغيير معالم اسمه على هذه الصورة لن يمكنها من الالتجاء إلى السيد "**باركر باين** " صاحب الاسم المعروف لاستشارته في مشكلتها . . .

والواقع أن "**باركر باين**" اعتاد أن يصادف العديد في الخارج ممن يعرفون اسمه وإعلاناته المنشورة في الصحف الإنجليزية . . . ولم يكن في هذا ما يثير العجب؛ لأن هؤلاء يطالعون الصحف بإمعان . . . ولايفوتهم حتى قراءة الإعلانات . .

ولهذا السبب فإن إجازاته كانت تقطع عليه في مناسبات عديدة . . . كثيرا ما عالج مشكلات شتى كانت تتراوح بين جرائم القتل ومحاولات التهديد وابتزاز الأموال . . . أما هنا في هذه الجزيرة فقد كان مصمما على أن ينال راحته كاملة . . . وقد شعر الآن بغريزته . إن الأم المكروبة يمكن أن تفسد عليه هذه الراحة وتسلبه كل هدوء . .

هكذا استقر "**باركر باين**" في فندق "**بينودورو**" وهو قرير العين ناعم البال وكان هناك فندق أكبر على مسافة قصيرة ينزل فيه كثير من الإنجليز . . . وفي المنطقة نفسها كان ثمة مستعمرة للفنانين ، تمتد بعدها قرية للصيادين بها مشرب للكوكتيل يتلاقى فيه الناس ، بالإضافة إلى بضعة حوانيت . . وهكذا كانت المنطقة كلها تهيئ أسباب الراحة والاستجمام . . .

ومهما يكن ففي اليوم التالي لوصول "**باركر باين**" كانت السيدة "**تشستر**" تبادله الحديث عن مشاهد الطبيعة وعن حالة الطقس ، وكان ابنها "**بازيل**" يستمع إلى حديثهما بأتم أدب واحترام . . . وأحيانا كان الثلاثة يتناولون القهوة معا بعد الفراغ من تناول طعام العشاء . . . وفي اليوم الثالث ما لبث "**بازيل**" أن استأذن بعد عشر دقائق من بدء الجلسة وبقي "**باركر باين**" منفردا مع السيدة "**تشستر**" . . . .

ولم يفته أن يلاحظ تلك الرعشة اليسيرة التي بدت على شفتي الأم عقب

انصراف ولدها . . . ولكنها تمالكت نفسها بسرعة وأخذت تحدثه عن "**بازيل**" وعن تقدمه في دراسته الجامعية وعن محبة الناس له قائلة إن والده لو ظل على قيد الحياة لكان جد فخوراً به ، واختتمت حديثها قائلة :

– أحمد الله أن "**بازيل**" لم يشب ابنا مشاكسا . . . وبالتأكيد فإنني أحثه دائما على مرافقة الشباب من سنه ، ولكنه في الواقع يفضل أن يكون في صحبتي. فقال "**باركر باين**" معقبا :

– هناك كثير من الشباب هنا . . لا أعني في الفندق ولكن في دائرة الجزيرة وعند هذه العبارة لاحظ أن السيدة "**تشستر**" تصلبت عضلاتها . . وقالت إن هناك بالفعل كثيرا من الشبان الفنانين . . . ولكنهم يتخذون من الفن ذريعة للتسكع هنا وهناك دون أن يفعلوا شيئا . . . كما أن الفتيات يسرفن في تناول الشراب. وفي اليوم التالي قال "**بازيل**" للسيد "**باركر باين**" :

– أنا سعيد بوجودك بيننا يا سيدي ، خصوصا من أجل والدتي . . . إنها تحب أحاديثك إليها في فترة المساء .

– ماذا كنتما تفعلان عندما جئتما إلى هنا ؟

– في الحقيقة كنا نلعب الورق . . .

– مفهوم . . .

– وبالتأكيد إن الإنسان لايلبث أن يمل لعب الورق . . . . . والحقيقة أنني صاحبت بعض الأصدقاء هنا . . هم جماعة ظريفة مرحة إلى أبعد حد . . ولا أظن أن أمي تقبلهم . .

وضحك كمن يرى في هذا فكاهة ، ثم أردف :

– إن أمي من العقلية القديمة . . . حتى البنات اللاتي يرتدين البنطلون يصدمنها .

فقال السيد **"باركر باين"** :

– هو هذا تماما ....

– إنني أقول لها دائما إن الإنسان لابد له أن يساير الزمن ... إن البنات في بلادنا مملات جداً ...

فقال السيد **"باركر باين"** مرة أخرى :

– مفهوم ...

كل هذا كان يثير في نفسه عنصر الطرافة ... كان يتفرج على دراما مصغرة ولكن لم يطلب منه حتى الآن أن يشارك فيها بدور...

ولكن لم يمض وقت طويل حتى وقع أسوأ شيء في نظر **"باركر باين"** ... فإن سيدة ثرثارة من معارفه جاءت للإقامة في فندق **"ماريبوزا"** المجاور ... وقد تلاقيا في مشرب الشاي بحضور السيدة **"تشستر"** ..

وعندئذ صاحت السيدة الثرثارة :

– يا للعجب ! .. السيد **"باركر باين"** بعينه ... و**"أديل تشستر"** ذاتها .. هل تعارفتما ؟ وتقيمان في فندق واحد ؟...هو الساحر الوحيد الأصلي يا**"أديل!"** هو أعجوبة القرن ! ... كل متاعبك تتبخر بفضله .. ماذا ؟ .. ألم تعرفي هذا؟.... لابد أنك سمعت عنه ... ألم تقرئي الإعلانات التي ينشرها في الجرائد ؟... هل أنت في مشكلة عويصة ؟ .. استشيرى السيد **"باركر باين"** ... وليس هناك شيء لايمكن أن يفعله ، أزواج وزوجات على وشك أن يقتلوا بعضهم البعض ، وبفضله يتم التصافي ! ... إذا يئست من الحياة فإنه يعيد اهتمامك بأشد المغامرات إثارة ... إنه كما قلت ساحر ... وكفى ! ...

واستمرت السيدة تتدفق بهذا الكلام والسيد **"باركر باين"** يعترض بين فترة وأخرى متواضعا ... إنه كره تلك النظرات التي رأى السيدة **"تشستر"** توجهها

إليه بتأثير هذا الكلام .. بل كره أكثر من هذا رؤيتها عائدة عن طريق الشاطئ وهي تتشاور بالحديث وهز الرأس مع السيدة الثرثارة التي أغدقت عليه كل هذا المديح .

وقد حدثت المأساة بأسرع مما كان يتوقع ... ففي ذلك المساء ، وبعد شرب القهوة ، قالت له السيدة "**تشستر**" فجأة :

– أرجوك أن تأتي معي إلى الصالون الصغير يا سيد "**باين**" ... هناك شيء أريد أن أقوله لك ..

لم يكن بوسعه إلا أن يطرق ويمتثل ....

والواقع أن الهدوء الذي كانت تتسم به السيدة "**تشستر**" مالبث أن تلاشى.. وما أن أغلق باب الصالون عليهما حتى تحطمت فجأة وجلست تجهش بالبكاء راحت تقول :

– ولدي يا سيد "**باركر باين**" لابد أن تنقذه ! ... إن حكايته تحطم القلب

– إنني يا سيدتي كإنسان غريب ..

– قالت "**بيتا ويكرلي**" : إنك تستطيع أن تفعل أي شيء ! قالت إنه يمكنني أن أضع فيك كل الثقة ...إنها نصحتني أن أخبرك بكل شيء ... وأكدت أنك سوف تسوي المسألة كلها تماما ..

راح السيد "**باركر باين**" يلعن في سره السيدة "**ويكرلي**" الفضولية الثرثارة... ولكنه لم يتمالك أن قال مستسلما :

– لابأس ... لنطرح المشكلة من أساسها ... أظن أنها بخصوص فتاة ؟

– هل أخبرك عنها ... ؟

– بطريقة غير مباشرة ...

راحت الكلمات تتدفق بحرارة وانفعال من السيدة "**تشستر**" :

– هي فتاة شنيعة ! ... إنها تسكر ... وتسب ..إن ملابسها لاتكاد تسترها.. لها أخت كانت تقيم هنا ... وكانت متزوجة بفنان هولندي .. (الشلة) كلها شنيعة ! .... نصفهم يعيشون مختلطين دون أن يجمعهم زواج! .. إن "بازيل" تغير تماما ... إنه كان دائما مثال الهدوء والاهتمام بالمسائل الجادة ... إنه فكر في وقت من الأوقات في أن يكون من دارسي الحفريات والآثار ...

فقال السيد "باركر باين" :

– حسنا ... إن الطبيعة سوف تنال انتقامها ...

– ماذا تقصد ؟

– ليس من المأمون بالنسبة إلى شاب أن يتفرغ للمسائل الجادة وحدها .. لامفر له أن يركب رأسه من أجل فتاة ....

– أرجو أن تبقى جادا يا سيد "باركر باين" ! ..

– إنني جاد كل الجد ... هل الفتاة التي تقصدينها ، هي التي كانت تشرب معكما الشاي أمس ؟ ..

كان قد لاحظها .. كانت تلبس البنطلون الرياضي ... وحول رقبتها منديل قرمزي تدلت عقدته على صدرها ... والفم المصبوغ الصارخ ... والكوكتيل الذي شربته بدل الشاي ...

– هل رأيتها ؟ ... شنيعة ! ... ليست نوع الفتاة التي كان يمكن أن يعجب "بازيل" بمثلها ...

– إنك لم تمنحيه أقل فرصة لكي يعجب بأي فتاة ...أليس كذلك ؟

– أنا ؟

– إنه تعلق بصحبتك أكثر من اللازم ...شيء رديء ... ومع ذلك أعتقد أنه

سوف يخرج من هذه الورطة .. إذا أنت لم تتعجلي الأمور ..

– أنت لا تفهم ... إنه يريد أن يتزوج هذه الفتاة ... "**بيتي جريج**" ... إنهما مخطوبان .

– هل تطور الأمر إلى هذا الحد ؟

– نعم ..لابد أن تفعل شيئا يا سيد "**باركر باين**" ... لابد أن تنقذ ابني من هذا الزواج المدمر ! . إن حياته كلها سوف تنتهي بكارثة ! .

– لايمكن أن تنتهي حياة أي إنسان بكارثة إلا من صنع يديه ...

فقالت السيدة "**تشستر**" بيقين ...

– هذا ما سينتهي إليه "**بازيل**" ..

– أنا لا أشعر بأي قلق على "**بازيل**" ..

– أنت لا تقلق على "**بازيل**" ؟ ..

– لا ... أنا قلق عليك ... فإنك تبددين أمومتك هباء ...

راحت السيدة "**تشستر**" تتطلع إليه مأخوذة ... فقال لها :

– ما السنوات بين العشرين والأربعين ؟ ...

هي الفترة التي تتحكم فيها العلاقات العاطفية ... هذا شيء لابد منه ... هذه هي طبيعة الحياة .. ولكن فيما بعدها هناك مرحلة جديدة ... يبدأ الإنسان يفكر ويدرس الحياة ، ويكتشف الأشياء عن غيره من الناس ، ويكتشف الحقيقة عن نفسه .. وعندئذ تصبح الحياة هي الحياة الحقيقية وذات قيمة ... يراها الإنسان ككل ، لامجرد مشهد واحد ، هو المشهد الذي كان يقوم به كما يفعل الممثل ... إن الرجل أو المرأة ، لايكون هو نفسه ، أو نفسها ، إلا بعد الخامسة والأربعين ... هذه هي المرحلة التي تنضج عندها الشخصية...

فقالت السيدة "**تشستر**" :

– إن "**بازيل**" كان دائما الظل الذي أستظل به ... إنه كان دائما كل شيء في حياتي ...

– لابأس ... ما كان يجب أن يكون هكذا ... إنك الآن تدفعين الثمن ... أحبيه كما تشائين وقدر ما تستطيعين ، لكن تذكري أنك "**أديل تشستر**" ... شخص.. لا مجرد أم "**بازيل**" ...

فقالت الأم :

– سوف يتحطم قلبي إذا دمرت حياة "**بازيل** " ! ...

راح يتفرس في ملامحها الدقيقة التي شاع فيها الحزن والتفجع ... فأخذته الشفقة عليها ... وقال لها :

– سوف أرى ما يمكن أن أفعله ...

*****

وجد "**بازيل تشستر**" يفتح له قلبه على الفور ...

فقد قال له الشاب يشرح وجهة نظره :

– إن هذه المسألة تتطور إلى جحيم ... إن أمي لاتطاق ... إنها مغرضة ... ضيقة العقل . لوتحكمت في مشاعرها قليلا لوجدت أن "**بيتي**" فتاة ممتازة...

– و"**بيتي**" من ناحيتها ؟

فتنهد الشاب قائلا :

– هي من ناحيتها صعبة عنيدة ... لو أنها انصلحت قليلا ، أعني لو تخلت يوما واحدا عن أحمر الشفاه الصارخ ، لاختلف الموقف كثيرا ....إنها تبالغ في التطرف لكي تبدو فتاة (مودرن) حين كانت أمي موجودة ...

فابتسم "**باركر باين**" ... بينما أضاف الشاب قائلا :

– إن "**بيتي**" وأمي اثنتان من أحب الناس وأظرفهم، وكنت أتمنى لو أنهما تآلفتا وانسجمتا من أول لحظة .

فقال "**باركر باين**" :

– أمامك أن تتعلم الكثير يا بني . . .

فقال "**بازيل** " :

– بودي أن تأتي معي وترى "**بيتي**" وتتحدث إليها في الموضوع .

فقبل "**باركر باين**" الدعوة على الفور . .

كانت "**بيتي**" وأختها وزوج أختها يقيمون في ڤيلا قديمة تبعد مسافة عن البحر . . . وكانت حياتهم صورة للبساطة . . . كان الأثاث لا يتجاوز ثلاثة مقاعد ، ومائدة ، وأسرة صغيرة ، بالإضافة إلى دولاب في الحائط به الضروري من الأطباق والأكواب . . . وكان "**هانز**" الزوج شابا انفعاليا أشقر الشعر منكوشه. . وكان يتكلم إنجليزية غريبة بأقصى سرعة وهو يروح ويجيء كلما فعل ذلك. . . وكانت زوجته "**ستيللا**" ، شقراء نحيلة الجسم . . . أما أختها "**بيتي**" فكانت حمراء الشعر منقطة الوجه ماكرة النظرات . . . ولما أبصرها الآن كانت بعيدة عن الزينة التي ظهرت بها بالأمس في فندق "**بينودورو**" . . .

قالت له "**بيتي**" بغمزة عين وهي تناوله كأسا من الكوكتيل :

– هل دخلت في (المعمعة) ؟

فأومأ السيد "**باركر باين**" إيجابا . . . . فقالت :

– وفي أي صف تقف ؟ . صف العشاق ؟ . . . أم صف السيدة الشمطاء ؟

– هل يمكن أن أسألك سؤالا ؟

– بالتأكيد . . . .

– هل كنت تتصرفين بلباقة وحكمة في هذه المشكلة ؟

فأجابت "**بيتي**" بصراحة :

– لا ... لكن القطة العجوز غاظتني ...

قالت هذا وهي تدير نظرها لكي تتأكد أن "**بازيل**" لا يسمعها ...

ثم استطردت تقول :

– إن تلك المرأة تثير جنوني ... إنها ربطت "**بازيل**" بحبالها طول هذه السنين ... ومثل هذا العمل يحول أي إنسان إلى أحمق يشار إليه بالبنان ... لكن "**بازيل**" ليس في الواقع أحمق ... ثم أنها متمسكة بالتقاليد بصورة شنيعة. إن هذا ليس عيبا في حد ذاته ... كل ما هناك أنه لا يتفق مع التطور هذه الأيام ...

فراحت "**بيتي**" تتأمل قليلا .. ثم قالت فجأة وقد لمعت عيناها :

– ربما كنت على حق .. سأكون صريحة معك ... الحقيقة أن "**بازيل**" هو الذي أثار غيظي بتلهفه على نوع الانطباع الذي أتركه في نفس أمه ... إن هذا جعلني أتطرف في كل تصرفاتي .... وحتى الآن أعتقد أنه قد ينفض يديه مني إذا واصلت أمه مساعيها ونشاطها من حوله ...

فقال السيد "**باركر باين**" :

– قد يفعل هذا إذا هي سلكت الطريق الصحيح ..

– وهل ستدلها أنت على الطريق الصحيح ؟ ...لايمكن أن تفعل هذا وحدها كما تعرف ... كل ما يمكنها هو أن تستمر في الاشمئزاز والممانعة ، ولن يفيدها ذلك بشيء ... لكن إذا أنت أرشدتها ورسمت لها الخطة ...

وعضت على شفتيها ورفعت إليه عينين زرقاوين تفيضان صراحة .. ثم أضافت تقول :

– إنني سمعت عنك يا سيد "**باركر باين**" ... مؤكد أنت تعرف حقيقة

الطباع البشرية . . . هل تظن أنني و"**بازيل**" يمكن أن ننجح في حياتنا ؟ . . . أم لا . . ؟

– أحب أولا أن تجيبي عن ثلاثة أسئلة . . .

– أهو اختبار الصلاحية ؟ . . . لابأس . . . قل أسئلتك . .

– هل تنامين ونافذتك مفتوحة أو مقفلة ؟

– مفتوحة . . . إنني أحب الهواء النقي . . .

– هل تستمتعين أنت و"**بازيل**" بالطعام نفسه؟

– نعم . . .

– هل تذهبين للنوم ليلا في وقت مبكر أو متأخر؟

– الحقيقة في وقت مبكر . . . في الساعة العاشرة والنصف أتثاءب من النعاس. . وفي الصباح أشعر بشهية شديدة للأكل . . . ولكنني بالتأكيد لا أقول هذا صراحة . . .

فقال السيد "**باركر باين**" :

– أنتما تليقان لبعض تماما . . .

– هذا اختبار بسيط جداً . . .

– أبداً . . إنني عرفت أكثر من سبع زواجات تحطمت تماما لأن الزوج كان يحب السهر حتى منتصف الليل والزوجة تستغرق في النوم في التاسعة والنصف وبالعكس . .

فقالت "**بيتي**" . . . .

– من المحزن أن الناس لا يجدون السعادة . . . هل معنى هذا أن "**بازيل**" سوف يبارك زواجنا ؟

فسعل "**باركر باين**" وقال :

– أظن أن هذا شيء يمكن تدبيره ...

فنظرت إليه بارتياب ، وقالت :

– ترى هل تخدعني ؟

– ولكن ملامحه لم تنطق بلا أو نعم ....

*****

عندما رجع "**باركر باين**" إلى السيدة "**تشستر**" كان رقيقا ملاطفا ، ولكن أسلوبه كان مبهما غامضا ...

قال لها إن الخطبة ليس معناها الزواج حتما ... وقال إنه ذاهب إلى بلدة "**سوللر**" في الجزيرة حيث يغيب أسبوعا ... وأشار عليها أن يكون مسلكها بين بين ، ولابأس أن تظهر بمظهر الموافقة ...

وفي بلدة "**سوللر**" أمضى أسبوعا استمتع فيه بالراحة والاستجمام إلى أبعد الحدود .

وعندعودته وجد الموقف قد انقلب رأسا على عقب ...

فما كاد يدخل فندق "**بينودورو**" حتى رأى السيدة "**تشستر**" و"**بيتي جريج**" تشربان الشاي معًا . ولم يكن "**بازيل**" معهما ...

وكانت السيدة "**تشستر**"ممتقعة الوجه ... وبدت "**بيتي**" كذلك في غير حالتها المألوفة ... لم تكن تضع شيئا من الزينة بالمرة ... وبدا من مظهر جفنيها أنها كانت حليفة البكاء .

ومهما يكن فقد حيته كلتاهما بمودة ، ولكن لم تذكر إحداهما اسم "**بازيل**" ..

وفجأة سمع "**بيتي**" بجانبه تشهق بحدة كأنما صدمها شيء ... فأدار "**باركر**

باين" رأسه ....

رأى "**بازيل تشستر**" يصعد درجات السلم من ناحية البحر .. وكانت برفقته فتاة رائعة الجمال حتى ليبهرحسنها الأبصار .... كانت سوداء الشعر فاتنة القوام ، ترتدي ثوبا من الكريب الأزرق الفاتح زاد من سحر جمالها ... وكانت المساحيق المعطرة والأحمر البرتقالي القاني الذي صبغ شفتيها ضاعف من أنوثتها الصارخة .... وبدا أن "**بازيل**" مفتون بها إلى حد أن نظراته كانت لاتكاد تفارق وجهها ...

قالت له أمه :

– إنك تأخرت كثيرا يا "**بازيل**" ... كان المفروض أن تذهب مع "**بيتي**" إلى محل "**ماك**" ..

فردت الحسناء المجهولة بلهجة ناعمة متثنية قائلة :

– غلطتي ... أننا تركنا أنفسنا مع الأمواج ...

ثم التفتت إلى "**بازيل**" قائلة :

– ملاكي ! . هات لي شيئا أشربه يدير رأسي !

وطوحت بحذائها ومددت ساقيها فبانت أظفارهما المصبوغة بمزيج من الزمردي والأخضر الذي كان منسجما مع لون أناملها ...

ولم تهتم الفتاة بالمرأتين ولكنها مالت قليلا إلى ناحية "**باركر باين**" وقالت:

– شنيعة هذه الجزيرة ! ... إنني كنت على وشك الموت من شدة الملل إلى أن قابلت "**بازيل**" ... كم هو لطيف !

فقالت السيدة "**تشستر**" :

– السيد "**باركر باين**" ... الآنسة "**رامونا** " ...

فتقبلت الفتاة هذا التعارف بابتسامة كسولة ناعسة ... وغمغمت قائلة :

– أظن أنني سأناديك "**باركر باين**" فقط ... اسمي "**دولوريس**" ...

وعاد "**بازيل**" بالشراب ... ووزعت الآنسة "**رامونا**" حديثها – وإن كان أكثره نظرات – بين "**بازيل**" و "**باركر باين**" ... أما عن المرأتين فإنها لم تهتم بهما وقد حاولت "**بيتي**" مرة ومرة أن تشترك في الحديث ولكن الفتاة الحسناء لم تفعل أكثر من أنها راحت تحدق إليها وتتثاءب ....

وفجأة نهضت "**دولوريس**" قائلة :

– أظن أنني سأذهب الآن ... أنا نازلة في الفندق الآخر ... هل يأتي أحد لتوصيلي .... ؟

فوثب "**بازيل**" قائما وقال :

– سأذهب معك ...

فقالت السيدة "**تشستر**" :

– "**بازيل**" ! عزيزي !

– سوف أعود بعد قليل يا أمي ..

فقالت الآنسة "**رامونا**" موجهة حديثها إلى الدنيا كلها :

– أليس هو ابن أمه ... ؟هو في ذيلها باستمرار أليس كذلك يا بني ؟

فاحمرَّ وجه "**بازيل**" وبدا عليه الارتباك .. ولم تلبث الآنسة "**رامونا**" أن أومأت برأسها للسيدة "**تشستر**" ، وأتحفت "**باركر باين**" بابتسامة ساحرة ، ثم بعدت برفقة "**بازيل**" ...

خيم صمت ثقيل محرج بعد انصرافهما ... ولم يرد "**باركر باين**" أن يكون البادئ بالكلام ...كانت "**بيتي جريج**" تلوي أصابعها وتنظر إلى اتجاه البحر.. وبدت السيدة "**تشستر**" محمرة الوجه غاضبة ...

وأخيرا قالت "**بيتي**" بصوت لا ينم عن تمام الثبات :

– حسنا ... مارأيك في قطتنا الجديدة ؟

فأجاب "**باركر باين**" بحذر :

– إنها ... غريبة إلى حد ما ...

فاطلقت "**بيتي** " ضحكة قصيرة مرة قائلة :

– غريبة ؟

فقالت السيدة "**تشستر**" :

– هي شنيعة ! ... شنيعة ! لابد أن "**بازيل** " أصابه الجنون ! ..

فقالت "**بيتي** " بحدة :

– إن "**بازيل** " له الحق ...

وقالت السيدة "**تشستر**" وهي ترتعد غثيانا :

– وأظفار قدميها ! ... يا للشناعة !

وفجأة نهضت "**بيتي**" قائلة :

– أظن يا سيدة "**تشستر**" أنني ساعود إلى البيت ولن أبقى لتناول العشاء..

– آه يا عزيزتي ! إن "**بازيل**" سوف يشعر بخيبة أمل شديدة ..

فقالت "**بيتي**" بضحكة قصيرة :

– هل سيفعل هذا ؟ ... على كل حال أنا ذاهبة ... إنني أشعر ببعض الصداع ...

وابتسمت لهما وابتعدت ... فالتفتت السيدة "**تشستر**" إلى "**باركر باين**" قائلة :

– ليتنا لم نات إلى هذا المكان ... قط !

فهز "**باركر باين**" رأسه ، بينما قالت السيدة "**تشستر**" مرة أخرى :

– ما كان يجب أن تذهب عنا ... لو بقيت هنا لما حدث هذا ...

فاضطر "**باركر باين**" أن يقول :

– يا سيدتي العزيزة ، أؤكد لك أنه متى كان الأمر متعلقا بفتاة جميلة فلايمكن أن يكون لي أي تأثير في ولدك ... الظاهر أن ... له طبيعة قابلة للتأثر بسرعة !

فقالت السيدة "**تشستر**" دامعة العينين :

– إنه لم يكن هكذا قط ..

فقال "**باركر باين**" محاولا إبداء المرح :

– لابأس ..يبدو أن هذا الافتتان الجديد قد قصم ظهر افتتانه بالآنسة "**جريج**" لابد أن يكون في هذا ترضية لك ...

فقالت السيدة "**تشستر**" :

– لا أعرف ماذا تقصد . إن "**بيتي**" لطيفة ومحبة لـ"**بازيل**" إلى حد التفاني وهي تتصرف بصورة حكيمة جداً في هذا الموقف ... وأظن أن ابني لابد أن يكون مجنونا ...

تلقى السيد "**باركر باين**" هذا التغيير المروع دون جزع ... فقد صادف من قبل مثل هذا التقلب في أحوال النساء ... وقال بدعة :

– ليس مجنونا بالضبط ... مجرد شخص مسحور ...

– إن المخلوقة شيطانية ... إنها لا تقاوم ...

– ولكنها فاتنة إلى أقصى درجة !

فلم تزد السيدة "**تشستر**" على إبداء همهمة تنم عن الاستنكار ...

ولم يلبث "**بازيل**" أن عاد صاعدا الدرج من ناحية البحر مسرعا وقال :

– مرحبًا يا ماما ... هأنذا قد رجعت ... أين "**بيتي**" ؟

– إن "**بيتي**" عادت إلى البيت مصابة بصداع ... إنني لاأستغرب ...

– تقصدين أنها استاءت ؟

– أظن يا "**بازيل**" أنك كنت غاية في القسوة مع "**بيتي**" .

– بالله لا تتشدقي بهذا الكلام يا أمي ! ... إذا كانت "**بيتي**" سوف تبدي مثل هذه الضجة في كل مرة أتكلم فيها مع فتاة أخرى ، فإن حياتنا معا سوف تكون حياة غريبة ...

– أنتما خطيبان .....

– نحن خطيبان بالفعل ... لكن ليس معنى هذا ألا يكون لنا أصدقاء ... الناس في أيامنا يعيشون حياتهم الخاصة وينسون الغيرة ..

– وتوقف برهة ، ثم أردف قائلا :

– اسمعي ... إذا كانت "**بيتي**" لن تتعشى معنا فاظن انني ساعود إلى فندق "**ماريبوزا**" ... إنهم طلبوا مني أن أتعشى معهم ...

– آه يا "**بازيل** " !

لكن الشاب صوب إليها نظرة ساخطة ، ثم أسرع يهبط درجات السلم عائدا من حيث جاء. تطلعت السيدة "**تشستر**" إلى "**باركر باين** " بنظرات تغني عن الكلام وكأنها تقول :

– هل رأيت ؟!

*****

وصل الموقف إلى ذروته بعد يومين ...

– فقد كان من المتفق عليه أن يقوم "**بازيل** " و "**بيتي**" برحلة خلوية يأخذان فيها طعام الغداء ... وعندما وصلت "**بيتي**" إلى فندق "**بينودورو**" وجدت أن "**بازيل**" قد نسي الموعد تماما وذهب إلى بلدة "**فورمنتور**" لتمضية النهار مع (شلة) "**دولوريس رامونا**" ...

لم تفعل "**بيتي**" أكثر من أن عضت على شفتيها ولم تقل شيئا ... على أنها لم تلبث أن وقفت وواجهت السيدة "**تشستر**" وكانتا وحدهما في الشرفة ... وقالت :

– لابأس ... هذا لايهم ... لكن أظن مع ذلك أن الأفضل أن ننهي المسألة كلها .. ونزعت من إصبعها الخاتم الثمين الذي كان "**بازيل**" قد أعطاه إياه قائلة :

– هلا أعطيته هذا الخاتم يا سيدة "**تشستر**" ؟ ... وقولي له ألا يشغل باله من ناحيتي ...

– "**بيتي**" يا عزيزتي ... لا تفعلي هذا ... إنه يحبك حقيقة ...

– فقالت الفتاة بضحكة قصيرة :

– هذا واضح تماما ! أليس كذلك ؟ ... لا ... إن لي كرامتي ... قولي له إن كل شيء بخير ... إنني أرجو له التوفيق!

وعندما عاد "**بازيل**" آخر النهار قُوبل بعاصفة ...

وقد احمرًّ وجهه عندما رأى الخاتم وقال :

– إذن هذا هو شعورها الحقيقي ! .. لابأس أظن أن الخير فيما فعلت ...

– "**بازيل**" !

– أصارحك يا أمي بأننا لم نكن على انسجام في المدة الأخيرة ...

– وذنب من هذا ؟

– لاأظن أن الذنب ذنبي ... الغيرة هي السبب ... ولاأرى لماذا تنفعلين كل هذا الانفعال بسبب هذه المسألة ... أنت نفسك رجوتني ألا أتزوج "**بيتي**" !

– كان هذا قبل أن أعرفها ... "**بازيل**" يا حبيبي !

أظنك لا تفكر في الزواج بتلك المخلوقة الأخرى ؟ !

فقال "**بازيل**" برصانة :

- إنني يمكن أن أتزوجها في الحال لو كانت تقبلني ... لكن أخشى أنها لن تقبل ...

شعرت السيدة "**تشستر**" بقشعريرة باردة تسري في كيانها كله ... وقد أخذت تبحث عن "**باركر باين**" حتى وجدته في ركن هادئ يقرأ كتابا ... فراحت تقول له :

- لابد أن تفعل شيئا. لابد أن تفعل شيئا

إن حياة ابني سوف تنهدم ! .

والظاهر أن "**باركر باين**" بدأ يتضايق من "**بازيل**" ومن خصوصياته إذ قال لها :

- وماذا يمكنني أن أفعل ؟

- اذهب وقابل تلك المخلوقة الشنيعة ... لك أن تشتريها إذا لزم الأمر ...

- قد يكلف هذا ثمنا غاليا ...

- لايهمني ...

- هذا مؤسف ... ومع ذلك فقد تكون هناك طرق أخرى ..

فتطلعت إليه متسائلة ... فهز رأسه قائلا :

- إنني لن أعدك بشيء ... لكنني سأرى ما يمكن عمله ... إنني مارست مثل هذه العملية من قبل ...بالمناسبة لا تقولي كلمة واحدة لـ"**بازيل**" ... وإلا كانت العاقبة وخيمة ..

- بالتأكيد لن أقول أي شيء ...

*****

عاد "**باركر باين** " من فندق "**ماريبوزا**" في منتصف الليل ... فوجد السيدة "**تشستر**" ساهرة في انتظاره .. وقالت له وهي تلهث :

– خيرا ؟

فأجاب وقد لمعت عيناه :

– إن الآنسة"**دولوريس رامونا**" سوف تغادر "**بولينا**" غدا صباحا ، وتخرج من الجزيرة كلها غدا ليلا ...

– أوه يا سيد "**باركر باين**" ! كيف صنعت هذه المعجزة ؟

فقال "**باركر باين**" :

– ولن يكلفنا الأمر سنتيما واحدا ..

ومرة أخرى لمعت عيناه، وأضاف قائلا :

– كنت أظن أنني سأتمسك بشيء ضدها ... وكان ظني في محله ...

– أنت مدهش .. كانت "**بيتا ويكرلي**" على حق !

لابد أن تحدد لي أتعابك ...

فرفع "**باركر باين** " يده الأنيقة بحزم قائلا :

– ولابنس واحد ... كان من السرور أن أفعل هذا ... وأرجو الآن أن يسير كل شيء على مايرام .... وبالتأكيد سوف يغتم ابنك جداً عندما يجد أنها اختفت ولم تترك أي عنوان ...

وكل ما هو مطلوب منك أن تكوني لينة معه مدة أسبوع أو أسبوعين....

– ياليت "**بيتي**" تسامحه !

– سوف تسامحه قطعا ! ... إنهما اثنان لطيفان .. وبالمناسبة ، إنني أيضا سأغادر الجزيرة غدا ...

– آه يا سيد "**باركر باين**" ... ستوحشنا كثيرا !

– ربما كان من الخير أن أترك الجزيرة قبل أن يتعلق ابنك الهمام بفتاة ثالثة

*****

وقف السيد "**باركر باين**" متكئا على حاجز الباخرة يتطلع بنظره إلى أضواء "**بالما**" وإلى جانبه وقفت "**دولوريس رامونا**" ...

ولم يلبث أن قال لها بلهجة التقدير :

– كانت هذه عملية محبوكة يا "**مادلين**" ... يسرني أنني أبرقت إليك لكي تحضري إلى هنا ... من حسن الحظ أنك تحبين الهدوء وملازمة البيت ...

فقالت "**مادلين دي سارا**" ، أو "**دولوريس رامونا**" سابقا :

– وأنا مسرورة لأنني أرضيتك يا سيد "**باركر باين**" ... كانت هذه العملية نوعا من التغيير بالنسبة إليّ ...

أظن أنني سأنزل الآن إلى قمرتي وأنام قبل تحرك الباخرة .... فإنني لست بحارة ماهرة ...

وبعد دقائق هبطت يد على كتف "**باركر باين**" ... وعندما التفت رأى "**بازيل**" بجانبه ...

قال له الشاب :

– كان لابد أن أحضر لكي أودعك يا سيد "**باركر باين**" ، وأعبر لك عن شكري أنا و"**بيتي**" ... كان هذا عملا جريئا من جانبك . إن "**بيتي**" وأمي الآن على أتم انسجام ووفاق ! . كنت أعتقد أنه من الخجل أن أخدع الأم العزيزة، لكنها كانت صعبة جداً ... على أي حال كل شيء الآن على أحسن ما يرام ... وكل ما هو مطلوب مني الآن هو أن أتظاهر بالاستياء والكدر يومين

آخرين...

إنني و"**بيتي**" ممتنان لك كل الامتنان .

فقال "**باركر باين**" :

– أتمنى لكما كل السعادة ...

– شكرا من أعماق القلب أيها الساحر العظيم !

وساد الصمت برهة ... ثم ما لبث "**بازيل**" أن قال بلهجة لامبالاة مصطنعة:

– هل الآنسة ... الآنسة "**دي سارا**" موجودة هنا ؟

أود أن أشكرها أيضا ...

صوب إليه "**باركر باين**" نظرة حادة ، وقال :

– أظن أن الآنسة "**دي سارا**" ذهبت للنوم !

– آه ! هذا من سوء الحظ ... ربما يمكن أن أراها في "**لندن**" في يوم من الأيام...

– الحقيقة أنها مسافرة إلى "**أمريكا**" في مهمة كلفتها بها ....

– أوه ... لابأس ! سأذهب الآن ...

ابتسم "**باركر باين**" ... وفي طريقه إلى قمرته نقر على باب قمرة "**مادلين**" وقال لها :

– كيف حالك يا عزيزتي ؟ .... بخير الآن ؟ ... كان صديقنا الشاب هنا.... أصابته النوبة "المادلينية" المعتادة ! ...سوف يشفى منها بعد يوم أو يومين! لكنك فتاكة حقيقة ... ! أتمنى لك نوما مريحا بعد هذه المؤامرة الصغيرة الناجحة !

*****

السوسن الأصفر

مدد "هركيول بوارو" قدميه إلى ناحية المدفأة الكهربائية الموضوعة في داخل الحائط راضيا قرير العين وهو يغمغم قائلا :

– إن مدفأة الفحم شيء عتيق مشوه غير مضمون

إنها لاتمتاز بالتناسق وحسن المظهر . . .

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون ، فنهض وهو يلقي نظرة على ساعته . . . كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة والنصف ليلا . . . وقد تساءل في نفسه عمن يطلبه في مثل هذا الوقت المتأخر . . . إنه لم يستبعد بالتأكيد أن تكون مكالمة مغلوطة . .على أنه غمغم وهو يبتسم تفكها :

– وقد تكون عن صاحب جريدة مليونير ، وجد ميتا في قاعة المكتبة بمنزله الريفي وقد وضعت في يده اليسرى زهرة أوركيد ، وشبكت في صدره صفحة انتزعت من كتاب كان يقرؤه عن فن الطهي !

ورفع "بوارو" السماعة ومازالت الابتسامة تداعب شفتيه . . .

وفي الحال بادره صوت المتكلم . . . صوت امرأة ناعم به بحة ، تخالطه رنة لهفة واستنجاد . . . قالت المتكلمة :

– أهذا السيد "هركيول بوارو " ؟ أهذا السيد "هركيول بوارو " ؟

– أنا "هركيول بوارو " . . .

– السيد "بوارو" . . . أيمكنك أن تأتي حالا ؟

حالا . . أنا في خطر . . في خطر شديد ! أنا متأكدة . . .

فقال "بوارو" بحدة :

– من أنت ؟ . . . من أين تتكلمين ؟

فجاءه الصوت أكثر خفوتا ولكن أشد لهفة وإلحاحا :

- حالا ! المسألة حياة أو موت ! في "**جاردان دي سيتي**" حالا ... المائدة ذات السوسن الأصفر ...

وتوقف الصوت ... وتلته شهقة غريبة .. ثم انقطع نهائيا ..

وضع "**هركيول بوارو**" السماعة ... لقد نم وجهه عن الحيرة ... وغمغم بين شفتيه :

هناك شيء غريب جدًّا !

*****

في مدخل الملهى الليلي الكبير المعروف باسم "**جاردان دي سيتي**" أسرع "**لويجي**" البدين يستقبل القادم قائلا :

- ليلة سعيدة يا سيد "**بوارو**" ... هل تريد مائدة ؟

- لا ... لا ياعزيزي "**لويجي**" ... إنني أبحث هنا عن بعض الأصدقاء ... سأبحث بنفسي ... ربما لم يصلوا بعد ... آه ! ... هناك تلك المائدة في الركن التي عليها أزهار السوسن .. بالمناسبة سؤال صغير ، إذا لم يكن من الفضول... كل الموائد هنا عليها أزهار الزنبق الوردية ... فلماذا توجد على هذه المائدة وحدها أزهار السوسن الأصفر ؟

فهز "**لويجي**" كتفيه قائلا :

- بالطلب يا سيدي ... طلب خصوصي ... هذه لاشك هي الأزهار المفضلة عند إحدى السيدات ... إن هذه المائدة محجوزة للسيد "**بارتون راسل**" ... أمريكي واسع الغنى ..

– آه ! لابد للإنسان أن يراعي ميول السيدات ... أليس كذلك يا "**لويجي**" ؟

فأجاب "**لويجي**" :

– لقد قلتها يا سيدي ..

– إنني أرى عند هذه المائدة أحد معارفي .. لابد أن أذهب وأتكلم معه ...

ودار "**بوارو**" بخفة حول حلبة الرقص التي كان يخطر فوقها أزواج المتراقصين.. وكانت المائدة التي عناها مخصصة لستة أشخاص ، ولكن لم يكن لديها في هذه اللحظة سوى جالس واحد ، وهو شاب جلس يتناول الشراب ساهما واجما ..

لم يكن بحال هو الشخص الذي كان "**بوارو**" يتوقع أن يراه .. وبدا من الاستحالة أن يربط فكرة الخطر أو الدراما بأي فرد من (الشلة) التي كان "**توني تشابل**" واحدا منها ...

وتوقف "**بوارو**" عند المائدة قائلا :

– آه ! هذا صديقي "**أنتوني تشابل**" ؟

– يالا العجائب في الدنيا كلها ! "**بوارو**" البوليس السري الشهير ؟

هتف الشاب بهذه العبارة وقد تملكه أشد العجب ، ثم أردف قائلا :

– اسمي ليس "**أنتوني**" يا عزيزي ... "**توني**" للأصدقاء ..

وجذب مقعدا وقال :

– تعال اجلس معي... لنتناقش في الجرائم لنذهب إلى أبعد من هذا ونشرب نخب الجريمة !

وصب شرابا في كأس فارغة واسترسل :

– لكن ماذا تفعل في هذا المكان المخصص للغناء وللرقص والطرب يا عزيزي "**بوارو**" ؟ ليست عندنا جثث هنا ! بالتأكيد لا توجد جثة واحدة نقدمها

إليك !

فرشف "**بوارو**" الشراب قائلا :

– يبدو أنك في غاية المرح ياعزيزي . . .

– المرح ؟ . . أنا غارق في التعاسة . . . سابح في بحار الأحزان . . قل لي ، هل تسمع ذلك اللحن الذي يعزفونه؟ . . هل تعرفه؟

فالقى "**بوارو**" رده بحذر قائلا:

– ربما كان لحنا عن فتاتك التي هجرتك؟

فأجاب الشاب :

– تخمين لاباس به . . ولكنه خطأ . . . هو لحن الأغنية التي تقول (لاشيء مثل الحب فيه عذابك) . . .

– آه !

فقال "**توني تشابل**" في حزن وضنى :

– هو لحني المفضل . . .وهذا مطعمي المفضل ، وفرقتي الموسيقية المفضلة . . ولكن محبوبتي المفضلة ذهبت على أنغام اللحن مع شخص غيري .

فقال "**بوارو**" :

– وهذا سبب غمك ؟

– بالضبط . . . إنني تشاحنت مع "**بولين**" واشتد الخلاف بيننا . . . . أقول لها سأشرح لك كل شيء يا حبيبتي، ولكنها تغرقني في بحر من الكلام !

ثم أردف "**توني**" :

سأقتل نفسي بالسم . .

غمغم "**بوارو**" :

– "**بولين**" ؟

- "**بولين ويذربي** " ... الأخت الصغرى لزوجة "**بارتون راسل**" ...شابة جميلة غنية إلى حد مخيف ...

إن "**بارتون راسل**" أقام حفلة هذه الليلة ... هل تعرفه؟

رجل الأعمال الأمريكي الكبير .. مملوء بالحيوية والشخصية .. كانت زوجته أخت "**بولين**".

- ومن هم الآخرون في الحفلة ؟

- سوف تقابلهم بعد دقيقة عندما تتوقف الموسيقى ... هناك "**لولا فالديز**" الراقصة من "**أمريكا الجنوبية**" التي تشترك في الاستعراض الجديد بمسرح "**متروبول**" .. وهناك "**ستيفن كارتر**" ... هل تعرف "**كارتر**"؟

هو أحد رجال السلك السياسي . رجل متكلم جداً ..

مشهور بلقب" **ستيفن** " الصامت ... هو من النوع الذي يقول لك لست في حل من أن أقول إلخ إلخ ... ها هم قادمون !

نهض "**بوارو**" و جرى تقديمه إلى "**بارتون راسل**"، و" **ستيفن كارتر**"، والسيدة "**لولا فالديز**" ،و هي مخلوقة سمراء مزخرفة ، ثم إلى "**بولين ويذربي**"، وكانت غضة الشباب شقراء تماما ، ساحرة النظرات ...

قال "**بارتون راسل**" :

- ماذا ؟ .. هل هذا السيد "**هركيول بوارو** " العظيم ؟ ... إنني مسرور حقًا بلقائك يا سيدي ..

هلا تفضلت بالجلوس والانضمام إلينا؟ اللهم إلا إذا ...فقاطعه " **توني تشابل**" قائلا :

- عنده موعد مع جثة كما أظن ! ... أم هي قضية مليونير مخطوف ؟ أم قضية الماسة المهراجا النفيسة ؟

– آه يا صديقي ! هل تظن أنني لا أكون مرة بعيدا عن القضايا والواجبات؟ ألا يمكنني أن أبحث عن التسلية والترفيه ولو مرة ؟

– ربما كان عندك موعد مع "**كارتر**" هنا .. آخر أخبار "**جنيف**" وهي تعقد الموقف الدولي ... الوثائق المسروقة لابد من إيجادها ، وإلا أعلنت الحرب غدا!

وعندئذ قالت له "**بولين ويذربي**" بلهجة لاذعة :

– هل لابد أن تكون بمثل هذه الحماقة التامة يا "**توني**" ؟

– آسف يا "**بولين**" ...

وعاد "**توني تشابل**" إلى صمته المكتئب . فقال "**بوارو**" :

– ما أشد قسوتك يا آنسة !

– إنني أكره الناس الذين يظهرون الحماقة طول الوقت ..

– لابد لي من الحذر إذن .. لابد أن أتكلم في الأمور الجادة فقط ..

– آه ! لا يا سيد "**بوارو**" ... لم أكن أقصدك... والتفتت إليه بوجه باسم تسأله :

– هل أنت بالفعل من نوع "**شرلوك هولمز**" وتقوم باستنتاجات عجيبة ؟

– آه ! الاستنتاجات ... إنها ليست بهذه السهولة في الحياة الواقعية ... لكن هل لي أن أجرب ؟

إذن فإنني أستنتج أن أزهار السوسن الصفراء هذه هي أزهارك المفضلة؟..

– غلط جداً يا سيد "**بوارو**" .. إنني أفضل زنبق الوداي ، أو الورد ..

فتنهد "**بوارو**" قائلا :

– هذا فشل ... سوف أجرب مرة ثانية ... هذه الليلة منذ فترة غير طويلة ، هل طلبت شخصا بالتليفون ؟

فضحكت "**بولين**" ، وصفقت بيديها قائلة :

– صح جداً !

– بعد فترة غير طويلة من وصولك إلى هنا ؟

– صح مرة ثانية ... إنني تكلمت بالتليفون في الدقيقة التي دخلت فيها...

– آه ... ليس هذا شيئا حسنا .. هل تكلمت تليفونيًّا قبل مجيئك إلى هذه المائدة ؟

– نعم .....

– هذا شيء رديء بالتأكيد ...

– آه . لا .. أعتقد أن هذا براعة منك ... كيف عرفت أنني تكلمت بالتليفون ؟

– هذا يا آنسة هو سر المهنة عند البوليس السري العظيم ... والشخص الذي تكلمت معه تليفونيا ، هل اسمه يبدأ بحرف الباء .. أو ربما بحرف الهاء ؟

– فضحكت "**بولين**" قائلة :

– غلط جداً ... إنني تكلمت مع خادمتي لكي ترسل إلى البريد بعض خطابات مهمة جداً لم أرسلها في وقتها ... واسمها "**لويز**" ...

– هذا من دواعي ارتباكي !

وبدأت الموسيقى تعزف من جديد ، فقال "**توني**" :

– ما رأيك في الرقص يا "**بولين**" ؟

– لاأظن أنني أريد أن أرقص بهذه السرعة يا "**توني**" ..

فقال "**توني**" بمرارة موجها حديثه إلى الدنيا كلها :

– أليس هذا أسوأ شيء ... ؟

والتفت " **بوارو**" إلى الفتاة الأمريكية الجالسة بجانبه من الناحية الأخرى وقال لها :

– إنني لا أجسر يا سيدة أن أطلب منك أن ترقصي معي ... أنا رجل من الطراز القديم جداً ...

فقالت "**لولا فالديز**" :

– آه ! هذا كلام غير مضبوط .. أنت مازلت في سن الشباب ... وشعرك مازال لونه أسود .

فأجفل "**بوارو**" قليلا .. على حين قال "**بارتون راسل**" بلهجة قوية :

– "**بولين**" ... بصفتي زوج أختك والوصي عليك ، أطلب منك الانتقال معي بالقوة إلى الحلبة ... هذه رقصة الفالس ، و رقصة الفالس هي الوحيدة التي أجيدها ...

– بالتأكيد يا "**بارتون**" ... لنذهب إلى الحلبة حالا ...

– هذا ظرف منك يا "**بولين**" ..

وذهبا معا ... فأمال "**توني**" مقعده إلى الخلف . ثم نظر إلى "**ستيفن كارتر**" قائلا :

– يالك من شخص متكلم يا "**كارتر**" ! ... تخلق جوا من المرح بأحاديثك، أليس كذلك ؟

– لست أعرف ماذا تقصد يا "**تشابل**" ؟

– اشرب يا رجل ... اشرب ، إذا كنت لن تتكلم !

– لا ... أشكرك ..

– إذن فسوف أشرب أنا ...

فهز "**ستيفن كارتر**" كتفيه ، ثم قال :

– معذرة ... لابد أن أتكلم مع شخص كنت أعرفه من أيام الكلية في "**إيتون**" ..

ونهض "**ستيفن كارتر**" وسار إلى مائدة تبعد بضعة أماكن ... فقال "**توني**" مكتئبا :

– ليذهب خريجو كلية "**إيتون**" إلى جهنم جميعا !

وفي خلال ذلك كان "**هركيول بوارو** " مقبلا على السمراء الجميلة الجالسة بجواره يجاملها ... فغمغم يقول :

– ترى ما هي الأزهار المفضلة عند الآنسة ؟

فقالت "**لولا**" بدهاء :

– ما الذي تريد أن تعرفه ؟

– يا آنسة ... إذا أردت أن أرسل بعض الأزهار إلى سيدة ، فيهمني أن تكون من نوع الأزهار التي تحبينها .

– هذا ظرف منك يا سيد " **بوارو**" .. سوف أخبرك ... إنني أحب القرنفل الكبير الأحمر الغامق ... أو الورد الأحمر الغامق ..

– رائع ... نعم رائع ... أنت إذن لا تحبين الأزهار الصفراء ، السوسن الأصفر؟

– الأزهار الصفراء .. لا . إنها لا ... إنها لاتتفق مع مزاجي ...

– يا للحكمة ! . أخبريني يا آنسة ... هل اتصلت تليفونيا هذه الليلة مع صديق منذ وصولك إلى هنا ؟

– أنا ؟ ... أتصل بصديق تليفونيا ؟ ... لا ... ياله من سؤال غريب ! ...

– آه ... إنني رجل غريب جداً ..

– أنا متأكدة من أنك هكذا ... أنت رجل خطر جداً.

– لا .. لا لست خطرا ... قولي إنني رجل قد يكون نافعا في الخطر ... هل فهمت ؟

فضحكت عن أسنان بيضاء منتظمة ، قائلة :

– لا . . لا . . . أنت خطر .

فتنهد "**هركيول بوارو** " وقال :

– أرى أنك لا تفهمين . . . كل هذا غريب جداً .

وأفاق "**توني**" من نوبة شرود ذهني تملكته وقال فجأة :

–" **لولا** " ! . . ما رأيك في رقصة صغيرة ؟ . . .تعالي معي . . .

– سأذهب معك . . . نعم . . . مادام السيد "**بوارو**" ليس شجاعا بالدرجة الكافية . . .

فلف "**توني**" ذراعه حولها وقال لـ"**بوارو**" وهما يبتعدان .

– يمكنك أن تفكر في الجريمة القادمة أيها الفتى العجوز ! . .

فقال "**بوارو**" :

– كلامك له مغزى عميق . .

جلس "**بوارو**" مستسلما لتأملاته بعض لحظات . . وما لبث أن أشار بإصبعه، فجاء "**لويجي**" في الحال ، ووجهه الإيطالي الممتلئ يفيض ابتساما . .

فقال "**بوارو**" :

– أريد ياعزيزي منك بعض المعلومات . . .

– إنني في خدمتك . . . دائما يا سيدي . .

– أريد أن أعرف من بين الجالسين إلى هذه المائدة تكلم بالتليفون هذه الليلة ؟

– بإمكاني أن أقول لك يا سيدي . . السيدة الشابة ، ذات الثوب الأبيض تكلمت في التليفون عند وصولها إلى هنا مباشرة . . . ثم ذهبت إلى غرفة الملابس لترك معطفها ، وبينما كانت تفعل ذلك خرجت السيدة الأخرى من

غرفة الملابس ودخلت إلى كبينة التليفون ..

– إذن فإن السيدة تكلمت فعلا بالتليفون ! .هل كان ذلك قبل دخولها إلى المطعم ؟

– نعم يا سيدي ..

– وهل تكلم أحد آخر ؟

– لا يا سيدي ...

– كل هذا يا "**لويجي**" يجعلني أفكر بشدة ..

– بالفعل يا سيدي ...

– نعم ... اظن يا "**لويجي**" أنه لابد لي في هذه الليلة من دون الليالي كلها ، أن أحتفظ بكل قواي الفكرية في حالة نشاط تام ... هناك شيء سوف يحدث يا "**لويجي**" وأنا غير متأكد تماما ماذا سيكون ...

– هل هناك شيء يمكن أن أفعله يا سيدي ؟

فأبدى "**بوارو**" إشارة انسحب "**لويجي**" على أثرها برصانة .. وفي الوقت نفسه كان "**ستيفن كارتر**" عائدا إلى مكانه حول المائدة ..

فقال "**بوارو**" :

– مازلنا وحدنا منبوذين بين (الشلة) يا سيد "**كارتر** " .

فقال هذا :

– آه ! تماما ...

– هل تعرف السيد "**بارتون راسل** " جيدا ؟

– نعم .. عرفته منذ فترة كافية ...

– إن أخت زوجته ، الآنسة "**ويذربي**" الصغيرة فتاة ساحرة ..

– نعم .. هي فتاة جميلة ..

– هل تعرفها هي الأخرى جيدا ؟

– جداً . .

فقال "**بوارو**" :

– آه ! جداً ؟ . . جداً ؟

فتطلع "**كارتر**" إليه محدقا . . .

ثم سكتت الموسيقى وعاد الآخرون . .

وقال "**بارتون راسل** " للجرسون :

– زجاجة شراب ثانية ! . . بسرعة !

ثم رفع كأسه قائلا :

– اسمعوا يا جماعة . . . سأطلب إليكم أن تشربوا أحد الأنخب . . . أقول لكم الحقيقة ، هناك فكرة وراء سهرتنا الصغيرة هذه الليلة . . . إنني كما تعرفون حجزت مائدة لستة أشخاص . . . ولم يكن هناك في الواقع أكثر من خمسة . . . ومعنى هذا وجود مكان سادس خال . . ثم حدث – بمصادفة غريبة جداً – أن السيد "**هركيول بوارو** " تصادف وجوده هنا ، فطلبت منه أن ينضم إلى (الشلة) . . . إنكم لاتعرفون حتى الآن إلى أي حد كانت هذه مصادفة مناسبة . . . إن ذلك المكان الخالي هنا يمثل السيدة التي أقيمت هذه الحفلة من أجل ذكراها . . إن هذه الحفلة ، سيداتي وسادتي ، تقام تكريما لذكرى زوجتي العزيزة – "**إيريس**" – التي تُوفيت منذ أربع سنوات ، وفي هذا اليوم بالضبط حدثت حركة حول المائدة تنم عن الانزعاج . . . بينما رفع "**بارتون راسل**" كأسه ووجهه يشف عن جمود تام قائلا :

– إنني أطلب منكم أن تشربوا من أجل ذكرى "**إيريس** " . . .

هنا قال "**بوارو**" بحدة :

– "**إيريس**" ؟

ونظر إلى أزهار السوسن "**إيريس**" تعني "**سوسن**" ...

فلمح "**بارتون راسل**" نظرته ... وأومأ برأسه في رقة ..

وحدثت حول المائدة همهمة متكررة :

–"**إيريس**" ! .... "**إيريس**" !

وبدا كل واحد منهم منزعجا مضطربا ...

فاستطرد "**بارتون راسل**" يقول بلهجته الأمريكية الممطوطة، والكلمات تخرج من فيه متثاقلة :

– قد تستغربون كلكم أن أحيي ذكرى ميت بهذه الطريقة ... بدعوة للعشاء في مطعم راق فاخر ..لكن عندي سبب لذلك .. نعم .. عندي سبب..

ولكي يستنير السيد "**بوارو**"، فإنني سأشرح الأمر .

وأدار رأسه إلى ناحية "**بوارو**" وراح يقول :

– منذ أربع سنوات يا سيد "**بوارو**" ، أقيمت سهرة عشاء في "**نيويورك**" ... وقد حضر هذه السهرة زوجتي ، وأنا ، والسيد "**ستيفن كارتر**" الذي كان ملحقا بالسفارة في "**واشنطن**" ، والسيد "**أنتوني تشابل**" الذي كان ضيفا في بيتنا لمدة أسابيع ، والسيدة "**فالديز**" التي كانت في ذلك الحين تسحر "**نيويورك**" برقصها .. وكانت "**بولين**" الصغيرة هذه (وربت كتفها) في السادسة عشرة فقط ، ولكنها جاءت إلى سهرة العشاء بلفتة خاصة بالمناسبة ... هل تتذكرين "**بولين**" ؟

فقالت بصوت اهتزت نبراته قليلا :

– نعم أتذكر ..

– السيد "بوارو" .. في تلك الليلة حدثت فاجعة ... لقد دقت الطبول ، وبدأت فقرات الملهى ... وأطفئت الأنوار كلها ما عدا بصيص ضوء في وسط الحلبة...

وعندما أضيئت الأنوار من جديد يا سيد "بوارو" ، شُوهدت زوجتي مرتمية إلى الأمام على المائدة .. كانت ميتة .... جثة هامدة ... وقد وجدت مادة "**السيانيد**" في بقايا كأسها واكتشفت في حقيبة يدها بقية لفافة "**السيانيد**"..

فقال "بوارو" :

– هل انتحرت ؟

– كان هذا هو القرار الذي قبله الجميع ... إن الفاجعة حطمتني يا سيد "بوارو" ... كان من رأي البوليس أنه يحتمل وجود سبب لمثل هذا العمل من جانبها ، وقد تقبلت القرار ...

وما لبث أن دق المائدة بقبضته فجأة وقال :

– لكنني لم أقتنع ! . كلا ! طوال أربع سنوات وأنا دائم التفكير والغم، ولم أقتنع لحظة ... أنا لا أعتقد أن "**إيريس**" قتلت نفسها .. . أعتقد ياسيد "بوارو" أنها ماتت مقتولة بفعل واحد من الجالسين حول هذه المائدة!

فوثب "**توني تشابل**" من مكانه قائلا :

– اسمع يا سيدي ! ..

فبادره "**راسل** " قائلا :

– الزم الهدوء يا "**توني**" ... إنني لم أنته بعد ... إن أحدكم فعلها ... أنا واثق بهذا الآن .. شخص انتهز فرصة الظلام ، ودس لفافة السيانيد نصف

الفارغة في حقيبة يدها ... وأظن أنني أعرف من منهم الفاعل ... ولابد لي من الوصول إلى الحقيقة ...

وعندئذ ارتفع صوت "لولا" تقول بحدة:

– أنت مجنون ! .. من كان يمكن أن يضرها ؟

لا ... أنت مجنون ! .. أنا لن أبقى ...

ولم تتم كلماتها .... لقد سمعت دق الطبول ...

وقال "**بارتون راسل**" :

– بدأت فقرات الملهى .. وبعد انتهائها سوف نستمر في هذا الموضوع ... ليبق كل منكم مكانه ... سأذهب إلى الفرقة الموسيقية الراقصة وأتكلم معهم... هناك ترتيب خاص اتفقت معهم عليه ..

ونهض وغادر المائدة ....

فعقب "**كارتر**" قائلا :

– عملية غريبة ! ... يا للرجل المجنون !

وقالت "**لولا**" :

– نعم ... هو مجنون ..

وأخفتت الأضواء ...

وعندئذ قال "**توني**" :

– أنا على استعداد للانسحاب ولن أبالي ..

فقالت "**بولين**" بحدة :

– لا !

ثم لم تلبث أن غمغمت قائلة :

– يا للغرابة ! .. يا للغرابة !

فغمغم "بوارو" :

– ماذا جرى يا آنسة ؟

فأجابت بصوت أقرب إلى الهمس :

– هذا فظيع ! .. هو أشبه بما حدث في تلك الليلة.

فصدرت أصوات عدة تقول :

– صه ! ... صه !

فخفض "بوارو" صوته وهمس للفتاة وهو يربّت كتفها مطمئنا :

– كلمة صغيرة في أذنك .. كل شيء سيكون على ما يرام ...

وهتفت "لولا" :

– يا إلهي ! ... اسمع ! ...

– ماذا جرى يا سيدة ؟

– هو اللحن نفسه. الأغنية نفسها التي عزفوها تلك الليلة في "نيويورك" ! ... لابد أن "بارتون راسل" دبر هذا ! ... إنني لا أحب ما يحدث.

– الشجاعة ! .... الشجاعة ....

وخيم الصمت من جديد ...

وخرجت فتاة إلى وسط الحلبة ... فتاة سمراء ذات عينين مدورتين وأسنان بيضاء لامعة ، وبدأت تغني بصوت عميق أجش كان مؤثرا بصورة غريبة :

وأنا نسيتك ...

ولا أفكر فيك ....

كل كلامك ...

وإشاراتك ...

وتصرفاتك راحت من خيالي

واختفت من بالي ....

*****

أنا نسيتك ...

ولا أفكر فيك ...

ولا أعرف لون عينيك ...

فقد نسيتك ولا أفكر فيك ...

*****

أنا مللت ذكراك ...

أنا نزعت هواك ...

أنت عني بعيد ..

بعيد ... بعيد ..

كانت نبرات الانتحاب وعمق الصوت الذهبي الشجي ذات تأثير شديد ... كان لها أثر التنويم المغناطيسي ... أثر السحر الفعال ... راح رواد القاعة جميعا يحدقون إلى المغنية مبهورين بعمق العاطفة التي كانت تسكبها مع الأغنية ...

وجاء الساقي إلى المائدة بخفة وطاف حولها يملأ الكؤوس مغمغما : (شراب) ولكن الاهتمام كله كان مركزا على بقعة الضوء ،... على المغنية السمراء التي مضت تغني بصوتها العميق :

أنا نسيتك ..

ولا أفكر فيك ..

كذبة كبرى ..

أن أفكر فيك ...

إلى أن نموت ...

✿✿✿✿✿

وما إن سكتت حتى انفجر التصفيق بحماس وجنون ... وسطعت الأضواء وعاد "**بارتون راسل**" إلى المائدة وتسلل إلى مقعده ..

وهتف "**توني**" :

– مغنية رائعة ... هي ...

ولكن كلماته بترت أثر صيحة خافتة من "**لولا**" :

– انظروا ! ... انظروا ! ..

فنظروا ... ورأوا ...

رأوا "**بولين ويذربي**" مرتمية إلى الأمام على المائدة .

وهتفت "**لولا**"

– إنها ماتت ! ... مثل "**إيريس**" تماما! ... مثل "**إيريس**" في "**نيويورك**" !

وثب "**بوارو**" من مقعده وهو يشير إلى الباقين أن يلزموا أماكنهم ... وانحنى فوق الفتاة المكومة على نفسها ورفع يدها المدلاة برقة متناهية وأخذ يتحسس نبضها ..

بدا وجهه شاحبا وصارما ... وجعل الآخرون يراقبونه وقد شلت حركاتهم وبدوا كأنما أوقفتهم قوة سحرية ..

وما لبث "**بوارو**" أن أومأ برأسه في بطء ، وقال :

– نعم .. إنها ماتت ... الصغيرة المسكينة ... كل ذلك وأنا جالس هنا

بجانبها.. آه ! .. لكن في هذه المرة لن يفلت القاتل .

فغمغم "**بارتون راسل**" وهو مكفهر الوجه :

- مثل "**إيريس**" تماما ! إنها رأت شيئا ... إن "**بولين**" رأت شيئا في تلك الليلة ... فقط لم تكن متأكدة ... قالت لي إنها لم تكن متأكدة .. لابد من استدعاء البوليس ! . أوه يا إلهي ! .. "**بولين**" الصغيرة ...

فقال "**بوارو**" :

- أين كاسها ؟

وأخذ الكأس ورفعها إلى أنفه ثم قال :

- نعم ... إنني أشم رائحة "**السيانيد**" ... الطريقة نفسها ... السم نفسه...

وتناول حقيبة يدها قائلا :

- لننظر ما في الحقيبة ..

وعندئذ هتف "**بارتون**" قائلا :

- أنت لا تعتقد أنها مسألة انتحار أيضا ؟

فقال له "**بوارو**" بلهجة الأمر:

- لا ... إن الأنوار أضيئت بسرعة ... والقاتل لم يجد وقتا كافيا ... وإذن فإن السم لايزال معه ...

فقال "**كارتر**" :

- أو معها ؟

قال هذاوهو ينظر إلى "**لولا فالديز**" ..

فصرخت الراقصة قائلة :

- ماذا تقصد ؟ ... ماذا تقول ؟ ... تقصد أنني قتلتها ؟ ... هذا غير

صحيح ! ... غير صحيح .. لماذا أفعل شيئا كهذا ؟

– كنت تميلين إلى "**بارتون راسل**" وأنت في "**نيويورك**" ... هذه هي الشائعة التي سمعتها .. إن حسان "**الأرچنتين**" مشهورات بالغيرة .

– هذه أكاذيب ! ... وأنا لست من "**الأرچنتين**" ... أنا من "**بيرو**" .... إنني أحتقرك !

فهتف "**بوارو**" قائلا :

– أطلب منكم السكوت .. أنا وحدي الذي يتكلم .

فقال "**بارتون راسل**" بتثاقل:

– لابدمن تفتيش كل واحد بيننا ..

فقال "**بوارو**" بهدوء :

– لا .. لا ... هذا غير ضروري ..

– ماذا تقصد بقولك : إنه غير ضروري ؟

– لأنني "**هركيول بوارو**" أعرف ...إنني أبصر بعين العقل وسوف أتكلم... السيد "**كارتر**" هلا أريتنا لفافة الورق الصغيرة الموجودة في جيب سترتك الداخلي ؟

– لاشيء في جيبي .. ماذا بحق جهنم ؟

– "**توني**" يا صديقي العزيز .. هل تتكرم بتفتيش جيبه ؟

فصرخ "**كارتر**" قائلا :

– لعنة الله عليك !

وانتزع "**توني**" لفافة الورق الصغيرة من جيب سترة "**كارتر**" الداخلي قبلما يستطيع هذا أن يقاوم ... وقدمها إلى "**بوارو**" قائلا :

– ها هي يا سيد "**بوارو**" ... تماما كما قلت .

فصاح **"كارتر"** :

– هذا افتراء وزور !

فتناول **"بوارو"** اللفافة الصغيرة وقرأ الاسم المكتوب على غلافها :

– **"سيانيد البوتاسيوم"** ... القضية أصبحت تامة .

وهنا انبعث صوت **"بارتون راسل"** يقول بنبرات حادة :

– **"كارتر"** ... إنني كنت دائما أظن هذا ... إن **"إيريس"** كانت تحبك .. وكانت تريد أن تهرب معك ... ولكنك لم تحب الفضيحة من أجل مستقبلك السياسي الذي هو عندك أعز من أي شيء ، وهكذا قمت بتسميمها..سوف تشنق بسبب هذا أيها الكلب !

فانبعث صوت **"بوارو"** رنانا يقول بلهجة آمرة قاطعة :

– السكوت ! إن الحكاية لم تنته بعد ... إنني **"هركيول بوارو"** عندي ماأقوله لقد قال لي صديقي **"توني"** عندما وصلت إلى هنا إنني جئت للبحث عن الجريمة .. وهذا صحيح إلى حد ما .. كانت الجريمة تشغل بالي ولكن بمعنى التفكير في منع وقوع جريمة ... وهذا ماحدا بي إلى المجيء ... وقد منعت بالفعل وقوع الجريمة .. إن القاتل قد دبر جريمته بسرعة وأحكم التدبير ... ولكن **"هركيول بوارو"** كان أسبق منه ...كان على **"هركيول بوارو"** أن يهمس بسرعة في أذن الآنسة **"بولين"** عندما أطفئت الأنوار ... وقد كانت الآنسة **"بولين"** سريعة الذكاء ، ولعبت دورها بمهارة ... يا آنسة **"بولين"** ! هل تتكرمين وتظهرين لنا أنك لست من الأموات بالفعل ؟

وعندئذ اعتدلت **"بولين"** وجلست ... وضحكت قائلة :

–**"بولين"** تبعث حية !

– **"بولين"** ... حبيبتي **"بولين"** !

– **"توني"** !

– نور عيني !

– ملاكي !

أما "**بارتون راسل**" فقد شهق قائلا :

– أنا لا أفهـم.

– سوف أساعدك على الفهم يا سيد "**بارتون راسل** " .. إن خطتك قد فشلت ..

– خطتي ؟

– نعم ... خطتك ... من هو الشخص الوحيد الذي توافر له إثبات وجوده بعيدا عن مكان الجريمة في فترة الظلام ؟ ... هوالرجل الذي ترك المائدة أي أنت يا سيد "**بارتون راسل**" ... لكنك رجعت إلى المائدة تحت ستار الظلام ، ودرت حولها ومعك زجاجة شراب ، ملأت الكؤوس ، ووضعت سم "**السيانيد**" في كأس "**بولين**" ، ثم أسقطت لفافة المسحوق نصف الخاوية في جيب "**كارتر**" عندما انحنيت فوقه لرفع الكأس .. آه ! .. نعم .. من السهل أن تقوم بدور الساقي في الظلام وأنظار الجميع متجهة إلى شيء آخر .. لقد كان هذا هو السبب الحقيقي للحفلة التي أقمتها هذه الليلة ... إن أسلم مكان لارتكاب جريمة هو في وسط الزحام !

– بحق السماء ! ... ما الذي يدعوني إلى القتل ؟

– ربما كان السبب هو المال ...وإن زوجتك تركتك وصيا على أختها ... إنك ذكرت هذه الحقيقة الليلة .. و"**بولين**" الآن في العشرين من عمرها ... وعندما تبلغ الحادية والعشرين أو عند زواجها ، فلابد لك من تقديم حساب عن وصايتك وفي ظني أنك لن تستطيع هذا ؛ لأنك ضاربت بمالها وبددته ... ولست أعرف يا سيد "**بارتون راسل**" إن كنت قد قتلت زوجتك بالطريقة

نفسها أو أن انتحارها قد أوحى إليك بفكرة هذه الجريمة ، ولكن الذي أعرفه بالفعل هو أنك هذه الليلة متهم بمحاولة ارتكاب جريمة قتل ... ومن شأن الآنسة "**بولين**" أن توجه إليك الاتهام بصفة رسمية ...

فقالت "**بولين**" :

ـ لا ... يمكنه أن يبتعد عن نظري وعن هذه البلاد ... إنني لاأريد فضيحة !

ـ من الخير إذن أن تذهب بسرعة يا سيد "**بارتون راسل**" .. ونصيحتي لك أن تلزم الحذر في المستقبل ...

فلم يتمالك "**بارتون راسل**" أن نهض ساخطا وقال ووجهه يطفح غيظا :

ـ لعنة الله عليك ، أيها الذئب البلچيكي !

وابتعد غاضبا ... فتنهدت "**بولين**" وقالت :

ـ إنك كنت رائعا يا سيد "**بوارو**" ....

ـ بل أنت يا آنسة كنت غاية في الروعة ...خصوصا عندما سكبت كأسك بالشراب تحت المائدة ، ومثلت دور الميتة بمثل هذا الإتقان ! ...

فارتعدت الفتاة قائلة :

ـ يا إلهي .. إن بدني يقشعر الآن !

فقال لها "**بوارو**" برقة :

ـ كنت أنت التي كلمتني تليفونيا ، أليس كذلك ؟

ـ بلى ..

ـ لماذا ؟

ـ لاأعرف .. إنني كنت أشعر بقلق .. بفزع ، دون أن أعرف بالضبط سبب فزعي ... إن "**بارتون**" أخبرني بانه سيقيم هذه الحفلة؛ إحياء لذكرى وفاة أختي "**إيريس**" ... وقد أدركت أن عنده خطة يفكر فيها لكنه لم يخبرني ما

هي خطته .. لكن بدا لي أنه في حالة غريبة جداً إلى درجة شعرت معها بأن شيئا مروعا ربما يحدث ولم يخطر ببالي بالتأكيد ولم أحلم لحظة واحدة أنه كان يقصد أن ... أن يتخلص مني !

– وبعد ذلك يا آنسة ؟

– كنت أسمع الناس يتكلمون عنك يا سيد "بوارو" .. وخطر لي أنه إذا تمكنت أن أجعلك تجيء إلى هنا فربما يكون بإمكانك منع حدوث أي شيء .. نعم ... فكرت أنني إذا كلمتك تليفونيا وتظاهرت بأني في خطر وجعلت المسألة تبدو غامضة ..

– خطر لك أن عنصر الدراما والغموض قد يجذبني ... إن هذا ما أثار استغرابي في الواقع ...أما فيما يختص بمضمون مكالمتك التليفونية ذاته فإنني اعتبرته نوعا من التمويه ... ولم أحمله على محمل الصدق . لكن الخوف الذي تجلى في صوتك كان خوفا حقيقيا ... ولذلك فإنني جئت إلى هنا ... ورأيتك تنكرين إنكارا تاما أنك وجهت إليّ أية مكالمة تليفونية !

– كنت مضطرة إلى هذا ... وفضلا عن ذلك فإنني لم أرد أن تعرف أنني مصدر المكالمة .

– آه ! لكنني تأكدت من هذا ... لم أتأكد من أول لحظة ... لكنني لم ألبث أن أدركت أن الشخصين الوحيدين اللذين يمكن أن يعرفا شيئا عن أزهار السوسن الأصفر الموضوعة على المائدة لابد أن يكونا أنت أو السيد "بارتون راسل" ...

فأومأت "بولين" إيجابا قائلة :

– إنني سمعته يأمر بوضع هذه الأزهار على المائدة .. وهذه الحقيقة ، فضلا عن أمره بإعداد مائدة لستة أشخاص وأنا أعلم أن القادمين خمسة فقط هو ما

جعلني أشك في ...

وتوقفت عن إتمام كلامها وهي تعض شفتيها . فقال "**بوارو**" :

– ما الذي شككت فيه يا آنسة ؟

فأجابت ببطء :

– تخوفت أن يحدث شيء .. للسيد "**كارتر**" ..

تنحنح "**ستيفن كارتر**" ... ولم يلبث أن نهض متباطئا ولكن في عزم ظاهر وقال :

– أنا مدين لك بفضل عظيم ... سوف تعذرون وتتجاوزون إذا تركتكم وذهبت . إن أحداث هذه الليلة كانت ... مزعجة ..

ولم تلبث "**بولين**" أن راحت تقول بانفعال شديد وهي تتبعه بنظراتها :

– إنني أكرهه .. خطر لي دائما أن "**إيريس**" لم تقتل نفسها إلا بسببه .. أو لعل "**بارتون**" هو الذي قتلها بسببه أيضا .. آه ! المسألة كلها شنيعة بشعة ! .

فقال "**بوارو**" برقة :

– انسي يا آنسة .. انسي .. دعي الماضي يذهب ... فكري في الحاضر فقط .. فغمغمت "**بولين**" قائلة :

– نعم ... أنت على حق ...

ثم التفت "**بوارو**" إلى "**لولا فالديز**" قائلا :

– السيدة ... كلما تقدم الليل أشعر بشجاعتي تزيد ... إذا قبلت أن ترقصي معي الآن ؟

– آه ! بالتأكيد ... أنت .. ساحر يا سيد "**بوارو**" ... إنني متمسكة بالرقص معك ...

– هذا كرم منك يا سيدة ...

وبقي "توني" و"بولين" وحدهما حول المائدة ... فمال كل منهما نحو الآخر وغمغم الشاب :

– حبيبتي "بولين" !

– أو ه يا "توني" ! إنني كنت شنيعة في تصرفاتي معك طوال السهرة ... هل يمكن أن تسامحني ؟

– يا ملاكي ! .. هذه هي أغنيتنا المحبوبة تعزف من جديد .. هيا بنا نرقص.

وأخذا يرقصان كما لم يرقص حبيبان من قبل وهما يترنمان بالأغنية :

لاشيء مثل الحب يعذبك .

لاشيء مثل الحب ينقيك .

ويغمك .

ويستعبدك .

ويرهف إحساسك .

لاشيء مثل الحب يهوي بك إلى القاع .

لاشيء مثل الحب يوصلك إلى الجنون .

ويفقدك الصواب

ويملؤك بالأوهام .

وبالعذاب .

لاشيء مثل الحب يسعدك

لاشيء مثل الحب يحملك .

إلى سماوات النعيم .

*****

جريمة الفندق

لست أظن يا عـزيزي ، أنـت يا "**ريموند**" وأنت يا "**جـوان**" ، أنني سـردت عليكما تلك القضية الغريبة التي حدثت منذ بضع سنوات ..

وليس في نيتي أن أبدو في نظركما مغرورة متفاخرة بقدرتي العقلية بأي حال من الأحـوال ... ولكن لا يسـعني إلا أن أشـعر بالاغـتبـاط؛ لأنـني اسـتطعت باستخدام ما وهبني الله من قدرة على الاستنتاج والتفكير المنطقي أن أتوصل إلى إماطة اللثام عن لغز غامض حير عقولا أذكى من عقلي ! ..

سأحكي لكما إذن هذه القصة ، وإذا توسمتما غرورا في كلامي ، فتذكرا أنني ساعدت على الأقل إنسانا مثلنا كان في كرب شديد ..

كان أول شيء سمعت به عن هذه القضية هو في إحدى الأمسيات حوالي الساعة التاسعة ، عندما جاءتني خادمتي "**جوين**" وأخبرتني بأن السيد "**باتريك**" وسيدا آخر قد جاءا لزيارتي ، وأنها أدخلتهما إلى غرفة الجلوس...

فطلبت من "**جـوين**" إعـداد بعض الشـراب والكؤوس وأسـرعت إلى تلك الغرفة.. ولست أدري هل تتذكران السيد "**باتريك**" ؟ .. لقد توفي منذ سنتين ولكنه كان صديقا لي طوال سنوات عديدة ، كما كان يشرف على شؤوني القضائية باعتباره من المحامين الأكفاء ...

ومهما يكن فإنني رحبت بالزائرين ، وتولى السيد "**باتريك**" تقديم صديقه إليَّ باسم السيد "**رودز**" ، وكان في أواسط العمر ، إذ لم يكن يجاوز الأربعين إلا قليلا ، ولكنني لمست من حالته على الفور أنه يكابد عذابا شديدا ...

وبعد أن استـقـر بنا الجلوس بدأ السيـد "**باتريك**" في بيان الغرض من هذه الزيارة قائلا :

– أرجو يا آنسة "**ماربل**" أن تغفري لصديق قديم لك هذا التطفل . إنني جئت إليك طلبا للمشهورة . . .

والواقع أنني لم أفهم ماكان يرمي إليه ، فاستطرد يقول :

– لو كان السيد "**رودز**" مريضا لعرضته على أحد الأطباء الإخصائيين ، ولكن وهنا قاطعه "**رودز**" بضحكة مروعة قائلا :

– إنني أتوقع أن أموت بكسر في رقبتي في خلال أشهر معدودة ! . .

وأعقب ذلك تسلسل القصة كلها . . . فمنذ فترة قريبة وقعت جريمة قتل في "**بادتشستر**" وهي بلدة تبعد عنا بنحو عشرين ميلا . . .و مع أنني لم أهتم كثيرا بتلك الجريمة لانشغالي وقتها ببعض الأحداث المحلية في قريتنا ، كما هو الحال دائما في الريف ، إلا أنني أتذكر أنني قرأت وقتها عن امرأة قتلت بطعنة خنجر في الفندق ، وإن غاب عني اسمها بعد ذلك . . . أما الآن فيبدو أن هذه المرأة هي زوجة السيد "**رودز**" ، والأسوأ من هذا أن الشبهات تحوم حوله باعتباره القاتل . . .

هذا هو ما شرحه لي السيد "**باتريك**" بوضوح ، وقد أضاف قائلا إنه إذا كان المحقق قد أصدر بمشورة المحلفين حكما أوليا باعتبار الجريمة من فعل مجهول أو مجهولين ، إلا أن السيد "**رودز**" يعتقد أنه سوف يقبض عليه في خلال يوم أو يومين ، ولذلك جاء إلى السيد "**باتريك**" ووضع نفسه تحت تصرفه . . . . ثم استطرد السيد "**باتريك**" يقول إنهما ذهبا عصر هذا اليوم لاستشارة المحامي الجنائي الكبير السيد "**مالكولم أولد**" ، وأن المحامي قد وافق على الدفاع عنه في حالة تقديمه إلى المحاكمة . .

وقد بين السيد "**باتريك**" أن السيد "**مالكولم**" محام شاب مقتدر ، وقد أعد دفاعه على أساس وجهة نظر معينة ، ولكن "**باتريك**" غير مرتاح لوجهة نظره ،

وأضاف قائلا :

– إن وجهة النظر هذه قد تكون لها وجاهتها ومبرراتها ، ولكنها تتجاهل نقطة جوهرية ، هي مجريات الأحداث الفعلية . . .

ثم انتقل السيد "**باتريك**" إلى الكلام عن تقديره لأصالة رأيي وثقته بصدق حكمي ونفاذ بصيرتي وإحاطتي بطباع النفس البشرية ، واستأذنني في شرح تفاصيل القصة قبل أن أتمكن في النهاية من حل غوامضها وفك معمياتها. . .

وكان واضحا من مظهر السيد "**رودز**" أنه يشك في قدرتي على أن أكون ذات فائدة له وأنه يشعر بالامتعاض من المجيء به إلى هنا . . . لكن السيد "**باتريك**" لم يعبأ به ، وبدأ يزودني بحقائق ما حدث في مساء الثامن من شهر تشرين الأول (أكتوبر) . . .

كان السيد "**رودز**" وزوجته قد نزلا في فندق "**كراون هوتيل**" في "**بادتشستر**" وكانت السيدة "**رودز**" المصابة بوسواس المرض قد ذهبت إلى فراشها بعد طعام العشاء مباشرة .. وكانت تشغل وزوجها غرفتين متجاورتين يصل بينهما باب .. وكان السيد "**رودز**" الذي يؤلف كتابا عن أحجار الصوان المستعملة في عصور ما قبل التاريخ عاكفا على عمله في الغرفة المجاورة. . . وفي الساعة الحادية عشرة جمع أوراقه استعداداً للنوم . . . وقبل أن يفعل هذا بدا له أن يلقي نظرة على زوجته في غرفتها لكي يطمئن إلى أنها لا تحتاج إلى شيء. . .

فاكتشف أن نور الغرفة مضاء ، وأن زوجته ممددة في الفراش ومصابة بطعنة في القلب . . . والظاهر أنها فارقت الحياة منذ ساعة وربما أكثر . .

وفيما بعد ذكرت البيانات الآتية . .

فقد كان هناك باب آخر في غرفة الزوجة يؤدي إلى الممشى .. وكان هذا الباب

مغلقا بالمفتاح والمزلاج من الداخل ... وكانت النافذة الوحيدة في الغرفة مغلقة بالمزلاج أيضا ... وطبقا لأقوال الزوج فإنه لم يمر أحد من الغرفة التي كان جالسا بها سوى خادمة جاءت بزجاجات ماء ساخن .. وكانت المدية التي وجدت في الجرح هي خنجر صغير كان موضوعًا فوق مائدة الزينة الخاصة بالزوجة، وكان من عادتها استخدامه كفتاحة للورق ولم يعثر على بصمات أصابع على الخنجر.....

وقد أسفر الموقف عن شيء واحد ... هو أنه لم يدخل إلى غرفة الضحية سوى الزوج والخادمة ...

وعندما استفسرت محدثي عن الخادمة ...

راح السيد "**باتريك**" يقول :

– كانت هذه الخادمة هي أول من دارت التحريات عنها ... إن "**ماري هيل**" امرأة من أهل البلدة وقد ظلت تعمل وصيفة في الفندق منذ عشر سنوات ، ولايبدو أن هناك أي سبب يحملها على الاعتداء المفاجئ على حياة أحد من نزلاء الفندق ... ثم إنها على أي حال معروفة بالغباء الشديد والبلاهة .. ولم تتغير القصة التي حكتها بأي حال ... قالت إنها أحضرت للسيدة "**رودز**" زجاجة الماء الساخن ، وإن السيدة كانت في حالة نعاس وعلى وشك أن يغلبها النوم ... أقول لك يا آنسة "**ماربل**" بصراحة إنني لا أتصور أي أحد من المحلفين في المحكمة يمكن أن يعتقد أنها هي التي ارتكبت جريمة القتل ..

ثم استطرد السيد "**باتريك**" يسرد بعض تفصيلات إضافية .. فعند رأس السلم في فندق "**بادتشستر**" توجد صالة جلوس صغيرة يجلس فيها النزلاء أحيانا لشرب القهوة ، وهناك ممشى يمتد إلى اليمين والباب الأخير فيه هو الباب المؤدي إلى الغرفة التي يشغلها الزوج ... وبعد ذلك ينعطف الممشى إلى اليمين

مرة أخرى وأول باب فيه هو الباب الموصل إلى غرفة الزوجة .. وقد تصادف أن هذين البابين كانا محل الرؤية من شهود عيان ... فإن الباب الأول الموصل إلى غرفة الزوج و الذي سأسميه بحرف (أ) كان تحت نظر أربعة أشخاص منهم اثنان من المندوبين التجاريين المتنقلين وزوجان متقدمان في السن كانا يشربان القهوة....

وطبقا لأقوالهم فإنه لم يدخل من الباب (أ) أو يخرج منه سوى السيد "**رودز**" والوصيفة ... أما الباب الثاني في الممشى (ب) فقد كان هناك كهربائي يقوم بالعمل وقد أقسم هو أيضا أنه لم يدخل من الباب (ب) أو يخرج منه سوى الوصيفة ...

هكذا كانت في الواقع قضية غريبة للغاية ... وإذا أخذنا بظواهر الأمور كان السيد "**رودز**" لابد أنه هو الذي قتل زوجته ... ولكن كان بإمكاني أن أرى أن السيد "**باتريك**" كان مقتنعا كل الاقتناع ببراءة موكله ، ولم يكن السيد "**باتريك**" إلا رجلا موفور الذكاء ..

وكان السيد "**رودز**" الزوج قد ذكر في التحقيق الرسمي قصة غير متماسكة عن امرأة كتبت عدة خطابات تهديد لزوجته ... وقد بدت لي قصته هذه غير مقنعة في الواقع ... وعندما ألح عليه السيد "**باتريك**" أمامي للإفصاح عن ظروف هذه القصة أجاب قائلا :

– بصراحة أنا لم أصدق قط قصة كهذه .... وكان ظني أن "**إيمي**" زوجتي قد اختلقت هذه القصة ...

وقد فهمت من أقوال الزوج أن السيدة "**رودز**" من النوع الذي يهوى تلوين الأشياء التي تحدث لها وتجسيمها . فإذا تصادف أن داست على قشرة موز وزلت قدمها فهي مسألة نجاة من الموت بمعجزة ، وإذا احترق غطاء مصباح للقراءة كان

معنى ذلك نجاتها من الموت حرقا في بناء محترق ... ولهذا فقد اعتاد الزوج أن يهون من أقوالها ولا يحملها على محمل الجد والخطورة ..

وللسبب نفسه فإن القصة التي زعمتها عن وجود امرأة أصابت هي طفلها في حادث سيارة وأن المرأة توعدتها بالانتقام ... هذه القصة لم يعبأ بها السيد "**رودز**" ولم يعرها أي اهتمام . ثم إن تلك الحادثة قد وقعت قبل زواجهما .

وعلى الرغم من أنها كانت تقرأ له خطابات مكتوبة بلهجة جنونية إلا أنه كان يشك في أنها هي التي اختلقت هذه الخطابات .. والواقع أنها فعلت شيئا كهذا مرة أو مرتين من قبل .. فقد كانت امرأة ذات طباع هيستيرية وكانت شغوفة على الدوام بكل ما يبعث على الإثارة ..

ومع أنه لا يوجد إنسان من هذا القبيل بالفعل ، إلا أنني فهمت أن البوليس قد اعتقد بأن السيد "**رودز**" قد اختلق هذه القصة غير المقنعة بقصد إبعاد الشبهات عن نفسه....

وقد سألت الزائرين عما إذا كان هناك أية نساء نزلن وحدهن في الفندق فكان الرد هو وجود امرأتين من هذا القبيل .. إحداهما تدعى السيدة "**جرابني**" وهي أرملة هندية إنجليزية ، والثانية تدعى الآنسة "**كاروثر**" ، وهي عانس (تأكل) في كلامها حرف الجيم أي لا تنطق به اعوجاجا في اللسان ... وقد أضاف السيد "**باتريك**" أن أدق التحريات التي عملت بشأن المرأتين لم تثبت أن أحدا قد شاهد إحداهما قرب مسرح الجريمة ، كما لم توجد أدنى صلة تربطهما بها على أي وجه من الوجوه .. وقد سألت السيد "**باتريك** " أن يصف لي شكلهما... فقال إن السيدة "**جرابني**" ذات شعر أقرب إلى الحمرة وغير مصفوف بعناية ، وهي نحيلة الوجه تناهز الخمسين من عمرها وترتدي ملابس حريرية ذات طابع هندي ... أما الآنسة "**كاروثر**" فكانت تناهز الأربعين،

وتلبس نظارة ، وشعرها قصير مقصوص كشعر الرجال ، وتلبس سترة رجالية فوق (الجونلة) . . .

وهنا لم أتمالك أن قلت :

– يا للأسف ! إن هذا يجعل القضية أكثر تعقيدا . .

نظر إليّ السيد "**باتريك**" مستطلعا ، لكنني لم أرد أن أقول أكثر في هذه المرحلة . ولهذا استفهمت منهما عن رأي السيد "**مالكولم**" في القضية . . .

فقالا إن المحامي الكبير يميل إلى الأخذ بنظرية الانتحار . . . ومع أن التقرير الطبي ينقض هذا الاتجاه كما أنه لاتوجد بصمات أصابع على الخنجر ، إلا أن السيد "**مالكولم**" واثق بقدرته على تفنيد التقرير الطبي وإيجاد سبيل للتغلب على مسألة بصمات الأصابع . . وعندما سألت الزوج عن رأيه من هذه الناحية قال إنه لا يعتقد بحال أن زوجته قتلت نفسها ، وأضاف ببساطة :

– لم تكن زوجتي من ذلك النوع الذي يقدم على الانتحار . .

والواقع أنني صدقته؛ لأن الناس المصابين بالهيستيريا لا يعمدون عادة إلى الانتحار .

جعلت أفكر برهة . . . ولم ألبث أن استفهمت عما إذا كان باب غرفة الزوج يؤدي إلى الممشى مباشرة . .

فأجاب الزوج بالنفي – فهناك ردهة صغيرة بها حمام . . . وكان الباب الموصل من غرفة النوم إلى الردهة هو الذي كان مغلقا بالمفتاح والمزلاج من الداخل فقلت لهما :

– في هذه الحالة فإن الموقف كله يبدو لي غاية في البساطة .

وأقول إن هذا هو الواقع بالفعل . . . ومع ذلك يبدو أن أحدا لم يستطع أن يفهم الموقف كما فهمته . . .

والواقع أني رأيت السيد "**باتريك**" والسيد "**رودز**" يحملقان إلى وجهي بشدة إلى حد أنني شعرت بالارتباك ...

وقال السيد "**رودز**" :

– لعل الآنسة "**ماربل**" لم تقدر صعوبات الموقف كما يجب؟!

فقلت :

– بل قدرتها تماما .. إن السيدة "**رودز**" إما أن تكون قتلت بيد زوجها ، أو بيد الوصيفة ، وإما أن تكون انتحرت ، أو قتلت بيد شخص من الخارج لم يشاهده أحد وهو يدخل أو يخرج ...

وعندئذ قاطعني الزوج قائلا :

– وهذا مستحيل ... فما كان يمكن لأي شخص أن يدخل أو يخرج عن طريق غرفتي دون أن أبصره ...

وحتى إذا تمكن شخص ما من الدخول إلى غرفة زوجتي دون أن يراه عامل الكهرباء ، فكيف بحق السماء كان بإمكانه الخروج مرة ثانية تاركا الباب مغلقا بالمفتاح والمزلاج من الداخل ؟

أما السيد "**باتريك**" فقد نظر إلي وقال بلهجة من يشجع سامعه على الكلام:

– حسنا يا آنسة "**ماربل**" ؟

فقلت :

– بودي أن أوجه سؤالا ... قل لي يا سيد "**رودز**" ، ماهي أوصاف خادمة الفندق ؟

فأجاب إنه غير متأكد ... في ظنه أنها أقرب إلى الطول ، وهو لايذكر ما إذا كانت شقراء أم سوداء الشعر ..

فاستدارت إلى السيد "**باتريك**" وسألته السؤال نفسه .. فقال إنها متوسطة

الطول شعرها أقرب إلى الشقرة وعيناها زرقاوان ....

فقال السيد "**رودز**" :

- أنت أقوى ملاحظة مني يا سيد "**باتريك**" ...

فخالفته في هذا الرأي ... ثم سألت السيد "**رودز**" إن كان يمكنه وصف الخادمة التي في بيتي ... وكانت النتيجة أنه عجز هو والسيد "**باتريك**" عن ذلك ...

وفي النهاية قلت لهما :

- ألا تدركان معنى هذا ؟.. إنكما جئتما إلى هنا وكل منكما مملوء بمشاغله.. وكان الشخص الذي أدخلكما هو مجرد (خادمة) .. وهذا الوصف نفسه ينطبق على السيد "**رودز**" وهو في الفندق ... إنه رأى فقط مجرد (خادمة) ... رأى زيها الرسمي ومريلتها.. وكان كل تفكيره منحصرا في عمله .. ولكن السيد "**باتريك**" رأى المرأة نفسها بعين أخرى .. إنه نظر إليها باعتبارها شخصا ..

وهذا هو الأساس الذي اعتمدت عليه المرأة التي ارتكبت جريمة القتل ..

*****

ظل الرجلان لايفهمان ... فكان لابد أن أزيدهما بيانا ، فرحت أقول :

- أظن أن الجريمة حدثت بالكيفية الآتية : فقد جاءت الوصيفة عن طريق الباب (أ) واجتازت غرفة السيد "**رودز**" إلى داخل غرفة السيدة "**رودز**" ومعها زجاجة الماء الساخن ، ثم خرجت عن طريق الردهة الصغيرة إلى الممشى (ب).. وكانت القاتلة المجهولة قد جاءت عن طريق الباب (ب) إلى الردهة الصغيرة ، واختبأت في إحدى الغرف كما أعتقد وانتظرت إلى أن ابتعدت الوصيفة ...

وعندئذ دخلت إلى غرفة السيدة "رودز" وأخذت الخنجر الموضوع على طاولة الزينة – وليس من شك في أنها كانت قد استكشفت الغرفة من قبل – واقتربت من الفراش وطعنت المرأة النائمة ، ثم مسحت الآثار عن مقبض الخنجر وأغلقت الباب الذي دخلت منه من الداخل بالمفتاح والمزلاج ، وأخيرا خرجت عن طريق الغرفة التي كان السيد "رودز" جالسا يكتب فيها ...

فلم يتمالك السيد "رودز" أن هتف قائلا :

– لكن كان لابد أن أراها ... ولابد أن يراها عامل الكهرباء وهي داخلة فقلت له :

– لا ... هنا أنت مخطىء ... ماكان يمكن أن تبصرها وهي مرتدية زي الوصيفة .. وتركته برهة يستوعب هذا المعنى ، ثم أردفت أقول له :

– لقد كنت منهمكا في كتابتك ... أنت فقط رأيت بزاوية عينك وصيفة تدخل وتتقدم إلى غرفة زوجتك ثم تعود وتخرج مرة ثانية ... كان الذي رأيته الزي نفسه لكنها لم تكن المرأة نفسها. وهذا هو ما رآه النزلاء الذين كانوا يشربون القهوة في الصالة ... رأوا وصيفة تدخل ، ووصيفة تخرج ... هذا الشيء نفسه كان بالنسبة إلى عامل الكهرباء .. وأستطيع أن أقول إن الوصيفة لو كانت جميلة لتمعن الإنسان في وجهها، فهكذا الطبيعة البشرية... لكن إذا كانت مجرد امرأة عادية في متوسط العمر، فإن الذي تبصره منها هو زي الوصيفة الرسمي، لا المرأة نفسها ...

فهتف السيد "رودز" قائلا :

– ومن هي تلك المرأة ؟

فأجبته قائلة :

– حسنا .. هذا شيء سوف يكون أكثر صعوبة ..

لابد أن تكون إما السيدة "**جرابني**" أو الآنسة "**كاروثر**" ... إن السيدة "**جرابني**" تبدو في سن تسمح لها بوضع "باروكة" شعر على رأسها عادة ، وهكذا يمكنها أن تمثل دور الوصيفة بشعرها الطبيعي ... ومن ناحية أخرى فإن الآنسة "**كاروثر**" ذات الشعر القصير المقصوص يمكنها أن تضع (باروكة) لكي تقوم بهذا الدور وأعتقد أنه سوف يسهل عليكما معرفة من منهما هي القاتلة...

وأنا شخصيا أميل إلى الاعتقاد بأنها الآنسة "**كاروثر**" ...

هذه يا عزيزي ، "**ريموند**" و"**جوان**" ، هي نهاية القصة .. لقد تبين أن "**كاروثر**" هو اسم مزور ، لكن صاحبته كانت هي القاتلة بلا أدنى شك ...

كانت امرأة مختلة العقل بالوراثة .. وقد حدث أن السيدة "**رودز**" التي كانت متهورة في قيادة سيارتها دهمت ابنتها الصغيرة فأطار ذلك عقل المرأة المنكودة... وقد استطاعت إخفاء جنونها بدهاء شديد ، فيما عدا كتابة رسائل جنونية لضحيتها المنتظرة .. وظلت تتبع تحركاتها فترة من الوقت ، ورسمت خطتها للانتقام بدقة وذكاء تامين .. وفي اليوم التالي لارتكاب الجريمة أرسلت طردا بالبريد به (باروكة) الشعر وزي الوصيفة الرسمي .. وعندما واجهها البوليس بهذه الحقيقة انهارت واعترفت في الحال .. وهي الآن نزيلة في سجن "**دارتمور**" ...

وفيما بعد جاءني السيد "**باتريك**" وقدم إليَّ رسالة رقيقة كتبها السيد "**رودز**" جعلتني أحمر خجلا من فرط المديح والثناء على مواهبي المتواضعة .. ولم يتركني صديقي القديم السيد "**باتريك**" إلا بعد أن وجه إليّ هذا السؤال:

– هناك نقطة واحدة .. لماذا رجحت أن القاتلة هي الآنسة "**كاروثر**" أكثر من السيدة "**جرانبي**" ؟ إنك لم ترَ أية واحدة منهما !

فقلت له :

– لابأس ... كان ذلك بفضل حرف الجيم .. قلت لي في بياناتك أن الآنسة "**كاروثر**" (تأكل) حرف الجيم ولا تنطق به في كلامها .... ففكرت أن هذا يحدث كثيرا– في الكتب – مع الناس الذين يشتغلون بالصيد والقنص ، ولكنه لايحدث في عالم الواقع ... ثم هو لايحدث قطعا من شخص أقل من سن الستين ... وقد قلت لي إن المدعوة "**كاروثر**" في الأربعين من عمرها .. ولذلك بدا لي أن (أكل) حرف الجيم في الكلام أقرب إلى حالة امرأة تمثل دورا وتبالغ في التمثيل ..

✽✽✽✽✽

جريمة في المرآة

ليس عندي أي تفسير لهذه القصة ... ليست لدي نظريات عن كنهها وأسبابها وخوافيها ... هي مجرد شيء تجلى وحادث وقع ! ..

وعلى الرغم من ذلك فإنني لا أملك أحيانا إلا أن أتساءل كيف كانت مجريات الأحداث تتشكل لو أنني لاحظت وقتها ذلك الفارق الأساسي الذي لم أقدره وقتذاك إلا بعد أعوام طويلة متعاقبة ؟ فلو أنني لاحظت ، لتغير مجرى حياة ثلاثة أشخاص تغييرا تاما ... وأن مجرد مرور هذا الخاطر بذهني ليثير في نفسي أشد الفزع ..

وأبدأ القصة من أولها ..

– لابد لي أن أعود إلى صيف عام 1914 – قبيل الحرب العالمية الأولى مباشرة– عندما ذهبت مع صديقي "**نيل كارسليك**" إلى قصر عائلته المسمى "**بادجويرثي**" ..

كان "**نيل**" أعز أصدقائي .. وقد عرفت أخاه "**آلان**" أيضا ، ولكن معرفتي به كانت وثيقة .. أما "**سيلفيا**" أختهما فإنني لم أقابلها قط ، وكانت أصغر منهما سنا ، وفي خلال عهود الدراسة اعتزمت مرتين أن أمضي شطرا من الإجازة الصيفية مع "**نيل**" في قصر "**بادجويرثي**" وفي المرتين كان يحدث مايحول دون إتمام هذه الزيارة ...

وهكذا لم أتمكن من زيارة "**نيل**" و"**آلان**" في قصرهما إلا وأنا في الثالثة والعشرين من العمر .

وكان مقررا أن تكون الزيارة حافلة .. فإن "**سيلفيا**" أخت "**نيل**" تمت خطبتها منذ فترة قصيرة إلى شاب يدعى "**تشارلز كرولي**" ، وقد أخبرني

"**نيل**" بأنه أكبر منها سنا إلى درجة ملحوظة ولكنه شاب طيب الخلق ميسور الحال . . .

وأتذكر أننا وصلنا إلى القصر الساعة السابعة مساء . . . فذهب كل منا إلى غرفته لتغيير ملابسه استعدادا لتناول طعام العشاء . . . وقد رافقني "**نيل**" إلى الغرفة المخصصة لي في هذا القصر العتيق البديع . . .

وفي خلال القرون الثلاثة الماضية أضيفت إلى القصر أجنحة وملحقات عديدة حتى أصبح مليئا بالسلالم الصاعدة والهابطة وتلك التي لا يتصور أحد وجودها!

كان باختصار قصرا يتعذر على الإنسان الغريب أن يهتدي فيه وحده إلى طريقه .. وقد وعد "**نيل**" أن يمر بي ويصحبني في طريقنا إلى قاعة الطعام .

وكنت في الواقع أشعر بشيء من التردد والخجل للتفكير في لقاء أسرة صديقي لأول مرة .. وأتذكر أنني قلت لـ"**نيل**" ضاحكا إنه من نوع القصور التي يتوقع الإنسان أن يقابل فيها الأشباح والدهاليز الخفية ، فقال بغير اكتراث :

إنه سمع بالفعل أن المكان (مسكون) ولكن أحدا منهم لم يشاهد أي شيء ، وأنه هو شخصيا لايعرف الشكل الذي يمكن أن تظهر به الأشباح والعفاريت !

ثم أسرع "**نيل**" وتركني أفتح حقائبي لإخراج ملابس السهرة .. والواقع أن أسرة "**كارسليك**" لم تكن من الأسر الموسرة ، فقد حافظت فقط على قصرها التاريخي العتيق ، ولكن لم يكن بالقصر خدم و لاحشم لكي يفتحوا الحقائب للضيوف ويقوموا على خدمتهم ..

ومهما يكن فإنني وصلت في ارتداء ملابس السهرة إلى إعداد رابطة العنق .. وكنت وقتها واقفا أمام المرآة .

أرى فيها وجهي وكتفي وخلفهما حائط الغرفة، وهو حائط ممدود يشقه في وسطه باب عادي .. وما كدت أفرغ من عقد رابطة عنقي حتى لاحظت أن الباب بدأ ينفتح ...

ولست أدري لماذا لم أستدر في مكاني .. وأظن أن هذا كان الشيء الطبيعي الذي يفعله أي إنسان ..

وعلى أي حال فإنني لم أستدر ، وإنما جعلت أراقب الباب وهو ينفتح ببطء... وبانفتاحه وقع نظري على مابداخل الغرفة التي وراءه ..

كانت غرفة نوم .. أكبر من غرفتي وبها سريران .. وفجأة كتمت أنفاسي ..

فقد أبصرت عند طرف أحد السريرين فتاة ، وحول رقبتها يدي رجل ، والرجل يدفعها إلى الخلف وهو يخنقها بيديه ويزهق روحها !

لم يكن هناك أقل احتمال لأي لبس .. كان ما أبصرته واضحا وضوح الشمس... وكان مايدور هو جريمة قتل لاشك فيها ...

كان بوسعي أن أرى وجه الفتاة بوضوح : شعرها الذهبي اللامع ، والفزع الشديد المرتسم من الألم على قسمات محياها الجميل الذي بدأ الدم يحتقن فيه ويصبغه بلون أرجواني ... أما الرجل فلم يكن بوسعي أن أرى أكثر من ظهره ، ويديه ، وندبة جرح امتدت في جانب وجهه الأيسر حتى عنقه ..

إن هذا الوصف قد استغرق بعض الوقت في سرد تفاصيله ... أما في عالم الواقع فلم يمضِ أكثر من لحظة أو اثنتين وأنا أحدق مشدوها مصعوقا منعقد اللسان إلى المشهد الذي تجلى لي .. ثم لم ألبث أن استدرت بسرعة لكي أخف إلى النجدة والغوث ..

وعلى الحائط من خلفي الحائط المنعكس في المرآة لم أجد سوى دولاب ملابس كبير من الطراز الفيكتوري !

لم أجد بابا مفتوحا .. ولا مشهدا من مشاهد العنف والقتل ! ...

استدرت مرة ثانية إلى المرآة ... فلم ينعكس فيها سوى شكل دولاب الملابس ...

مررت بيدي فوق عيني ... ولم ألبث أن اندفعت في الحجرة وحاولت أن أجذب الدولاب إلى الأمام ، وفي هذه اللحظة دخل "**نيل**" من الباب الآخر المطل على الممشى ، وسألني والعجب قد تملكه ما الذي أفعله بحق السماء ...

ولابد أنه حسبني قد أصابني شيء من المس عندما اندفعت نحوه أسأله إن كان هناك باب خلف الدولاب؟

فأجابني نعم يوجد هذا الباب ، وهو يؤدي إلى الغرفة المجاورة .. فسألت من يشغل هذه الغرفة ؟ فقال: إنهم أسرة مكونة من رجل يدعى العقيد "**أولدهام**" وزوجته .. فسألته مرة أخرى إن كانت السيدة "**أولدهام**" ذهبية الشعر، وعندما أجابني بجفاء إن شعرها أسود بدأت أدرك أنني سأبدو ولاشك في صورة مغفل يشار إليه بالبنان ! . وهكذا تمالكت نفسي ، وانتحلت تفسيرا مفتعلا ، ثم نزلنا إلى الدور الأرضي ، وأنا أقول لنفسي إنني لابد قد أصبت بهذيان مفاجئ ، وشعرت بالخجل من نفسي ومن تصرفي ...

وبعد ذلك قدمني "**نيل**" إلى أخته قائلا :

- أختي "**سيلفيا**" . وإذا بي أبصر الوجه الجميل الذهبي الشعر الذي رأيته منذ لحظات يتعرض للخنق حتى الموت ! ... ثم قدمني إلى خطيبها ، وكان شابا طويلا أسود الشعر (في وجهه ندبة جرح يمتد على جانب وجهه الأيسر)!

هذا هو الموقف ... وإنني أترك للقارئ أن يفكر ويقول ما الذي كان يمكن أن يفعله وهو في مكاني !

هذه هي الفتاة .. الفتاة بعينها ... وهذا هو الرجل الذي رأيته يخنقها ..

والاثنان على وشك الزواج في خلال شهر !

هل هبط عليّ نوع من الغيب كشف لي عن حجاب المستقبل ؟ .. وهل يمكن أن تأتي "**سيلفيا**" وزوجها للإقامة هنا في المستقبل ، وتعطى لهما تلك الغرفة وهي أفضل غرفة خالية، ويتحقق ذلك المشهد المروع الذي أبصرته في عالم الواقع الرهيب ؟

ما الذي يجب عليّ أن أفعله ؟ ... هل باستطاعتي أن أفعل أي شيء ؟ وهل يمكن لأي أحد – "**نيل**" أو الفتاة نفسها – أن يصدقني ؟

جعلت أقلب هذه المسألة في ذهني طوال الأسبوع الذي أمضيته في القصر.. هل أتكلم أولا أتكلم ؟ .. ثم إنه قد حدث في الوقت نفسه تعقيد آخر لم يكن في الحسبان ... فإنني وقعت في غرام "**سيلفيا كارسليك**" من أول نظرة... وأصبحت أريدها أكثر من أي شيء آخر في الدنيا كلها .. ووجدت أن هذا الاعتبار يقيد يدي على نحو ما ...

ومع ذلك ، إذا أنا لم أقل شيئا ، فإن "**سيلفيا**" سوف تتزوج "**تشارلز كرولي**" و"**كرولي**" سوف يقتلها !

وهكذا حدث أنني في اليوم السابق لرحيلي ، كاشفتها بكل شيء ... وقلت لها إنني أتوقع أن تحسبني قد أصبت بخبل أوشيء من هذا القبيل ، لكنني أقسمت لها قسما مغلظًا أنني أبصرت المشهد كما وصفته لها وأنني رأيت من واجبي إذا وجدتها مصممة على هذا الزواج أن أكاشفها بالرؤية الغريبة...

أما هي فقد أنصتت إليّ بكل هدوء ... ولم أجد في نظراتها شيئا لم أفهمه... ولم يبد عليها الغضب بأي حال ..... وعندما فرغت من كلامي كان كل ما فعلته أنها شكرتني برصانة ... فرحت أقول لها مرارا وتكرارا كالأبله: إنني أبصرت هذه الرؤية بالفعل ! أبصرتها حقيقة ! ... فردت عليّ

بقـولهـا : وأنا واثقـة بأنك رأيت مـا رأيـت مـادمت تقـول هذا ... إنني أصدقك... لابأس!

كانت المحصلة النهائية أنني غادرت القصر وأنا لاأعرف إن كنت قد أحسنت عـملا أو كنت ذلك المغفل الذي يشـار إليـه بالبنان ... ولكـن لم يمض سوى أسبوع حتى فسخت "**سيلفيا**" خطبتها إلى "**تشارلز كرولي**" ... وبعد ذلك وقعت الحرب ، ولم يكن هناك مجال للتفكير في أي شيء آخر ... وقد حدث مرة أو مرتين عندما كنت في الإجازة أن جـمعتني الظروف مع "**سـيلفيـا**" ، ولكنني كنت أتجنبها بقدر الإمكان ...

إنني كنت مازلت مقيما على حبها ، ولم أكن أريد في الدنيا كلها سواها ... لكنني قـدرت أن الموقف لن يسـتقـيم هـكذا ... فـإنهـا لـم تفـسخ خطبـتـهـا لـ"**كرولي**" إلا بسببي وجعلت أقول لنفسي دائما إنني لا أستطيع تبرير العمل الذي كان مني إلا باتخاذ موقف حيادي مجرد عن المصلحة الذاتية ...

وحدث بعد ذلك في عام 1916 أن قتل "**نيل**" في الحرب ووكل إلي وحدي أن أحدث "**سيلفيا**" عن لحظاته الأخيرة في الحياة ... ولم يكن من الممكن بعد هذه المناسبة أن تظل علاقتنا مجرد علاقة سطحية ... فإن "**سيلفيا**" كانت تحب "**نيل**" ، وكان هو أعز أصدقائي ... وكانت في حزنها صورة آخاذة مؤثرة من صور الجمال والفتنة ... وقد استطعت رغم ذلك أن أمسك لساني وابتعدت عنها مرة أخرى وأنا أدعو الله إأن تصيبني رصاصة قاضية تضع حدا لموقفي التعس الأنكد ! ... فإن الحياة بغير "**سيلفيا**"لا تستحق أن تعاش !

لكن لـم يـكن من نصيبي رصاصة قاضيـة مقسومة لي .. نعم إن رصـاصة أصابتني أسفل أذني اليـمنى ، وأخـرى اصطدمت وطاشت بعلبة سجـائري المعدنية ، ولكنني خرجت من الحرب دون أن يمسني أكثر من هذا ... وقد

علمت أن "**تشارلز كرولي**" قُتل في المعارك في بداية عام 1918 وعدت إلى الوطن في خريف عام 1918 قبيل الهدنة ، فذهبت رأسا إلى "**سيلفيا**" وقلت لها إنني أحبها دون أن يخامرني أي أمل في أنها سوف تعبأ ... ولك أن تتصور مدى ذهولي عندما سألتني لماذا لم أقل لها هذا الكلام من قبل ! .. ولما غمغمت أمامها بكلام متلعثم عن "**كرولي**" قالت لي : لكن لأي سبب تظنني قد فسخت خطبتي له ؟ ... ثم بادرتني قائلة إنها وقعت في غرامي منذ اللحظة الأولى مثلما وقعت في غرامها تماما !

فقلت لها : إنني كنت أظن أنك فسخت خطبتك بسبب القصة التي قلتها لك ، فما كان منها إلا أن ضحكت بازدراء ، وقالت إن المرأة إذا أحبت رجلا فإنها لا تكون بمثل هذا الجبن ... وقد عدنا إلى الكلام في موضوع تلك الرؤية القديمة التي تراءت لي ، وسلم كل منا بأنها رؤية غريبة بالفعل ، ولكن المسألة توقفت عند هذا الحد ...

وبعد ، ما من جديد يمكن أن يحكى عن حدوثه لفترة بعد ذلك ... فقد تزوجت أنا و"**سيلفيا**" ... وكنا في غاية السعادة ... لكنني أدركت بعد أن أصبحت لي فعلا أنني لست خير الأزواج .. كنت أحب "**سيلفيا**" إلى درجة العبادة ، ولكنني كنت غيورا إلى درجة السخف من أي شخص أراها حتى تبتسم له ... وفي أول الأمر كان ذلك يسليها ، بل أظن أنها أحبت هذا واستطابته ... فقد برهن لها على الأقل أنني أحبها إلى درجة العبادة بالفعل! ..

أما فيما يختص بي ، فقد أدركت كل الإدراك وبلا أدنى خطأ أنني لا أرتكب فقط حماقة وغفلة ، بل إنني كذلك أعرض للخطر صفاء وسعادة حياتنا معا، ... أدركت هذا كما قلت ... لكن لم يكن في قدرتي أن أتغير .. لقد تطور الأمر إلى حد أنه لو تلقت "**سيلفيا**" رسالة كنت أتساءل ممن هي ... ولو

رأيتها تضحك وتتكلم مع أي رجل كنت أستاء وأسخط وأراقب عن كثب!...

وفي أول الأمر كانت "**سيلفيا**" تضحك مني كما قلت .. كانت تظن هذا نوعا من المزاح ... ثم لم تلبث أن وجدته مزاحا ثقيلا .. وفي النهاية لم تجد فيه أي لون من المزاح بأي حال ...

وشيئا فشيئا أخذت تنأى بنفسها عني ... لا من الناحية المعيشية المادية ، ولكنها أخذت تخفي تفكيرها الباطن عني ، حتى لم أعد أعرف الأفكار التي كانت تدور برأسها ... كانت عطوفة رقيقة ... لكن حزينة متباعدة ....

ثم أدركت بالتدريج أنها لم تعد تحبني ... إن حبها لي قد مات، وأنا الذي قتلته !

وكانت الخطوة التالية محتومة لا مفر منها ... وقد وجدتني أنتظرها ... وأجزع من وقوعها ...

ثم ظهر "**ديريك وينرايت**" على مسرح حياتنا ...

كان له كل شيء ليس لي ... فقد توافر له الذكاء الحاد واللسان الطلق وكان وسيم الصورة في حين أنني ،وأعترف بهذا مضطرا ، كنت كأي شخص عادي..

والواقع أنني قلت لنفسي عندما وقع نظري عليه :

– هذا هو الرجل المناسب لـ"**سيلفيا**" ...

أما "**سيلفيا**" فقد قاومت ... كنت أعرف أنها كانت تقاوم بشدة ... لكنني لم أبذل لها أدنى مساعدة ... ولم يكن هذا في قدرتي ... كنت منطويا عنها في كآبتي ووساوسي وتحفظي ...

كنت أتعذب عذابا دونه عذاب الجحيم .. ولم يكن بوسعي أن أحرك حتى إصبعا لإنقاذ نفسي ولا لمساعدتها ...

بل إنني عملت على زيادة الموقف سوءا .... فقد رحت ذات يوم أتحامل

عليها وأسبها سبا عنيفا ...

كنت وقتها مجردا من العقل بتأثير الغيرة العمياء والتعاسة الشديدة التي كنت أكابدها ... وكانت الأقوال التي صدرت مني قاسية وغير صحيحة ، وكنت أعلم وأنا أقولها مدى قسوتها وبعدها عن الصدق والحقيقة ....

ومع ذلك وجدت لذة في أن أقولها وأتفوه بها ! ...

إنني أتذكر كيف احمرَّ وجه "**سيلفيا**" وكيف انكمشت على نفسها أمامي...

إنني أوصلتها إلى الدرجة التي لامزيد بعدها للاحتمال والصبر ...

إنني أتذكر قولها لي : إن هذا لايمكن أن يدوم ...

وعندما عدت إلى البيت في تلك الليلة كان البيت خاويا ...ووجدتها تركت لي رسالة كما يحدث في هذه المواقف ...

قالت في الرسالة إنها ذاهبة عني إلى الأبد .. وقالت إنها ذاهبة إلى قصر "**بادجويرثي**" لقضاء يوم أو يومين .. وبعد هذه الفترة سوف تذهب إلى الشخص (الذي يحبها ويحتاج إليها) ..

وأظن أنني حتى هذه اللحظة لم أكن أؤمن فعلا بالشكوك التي كانت تخامرني ... ولكن تأيد هذا بالتأكيد الكتابي لأسوأ الظنون التي كانت تراودني فقد أثار جنوني ... فقصدت على الفور إلى قصر "**بادجويرثي**" بأسرع ما تستطيع السيارة أن تقلّني ... وأتذكر أنني عندما اندفعت إلى غرفتها كانت قد فرغت لتوها من تغيير فستانها استعداداً للعشاء...

إن صورة وجهها الجميل تبدو أمامي وقد ارتسمت عليه علامات المفاجأة... والخوف ...

قلت لها :

– لاأحد غيري يمكن أن ينالك ! .. لا أحد .

وأطبقت بيدي على رقبتها وجعلت أميلها إلى الخلف .

وفجأة رأيت انعكاس صورتنا في المرآة ...

صورة "**سيلفيا**" وهي تختنق ، وصورتها وأنا أخنقها ، وصورة ندبة الجرح التي على خدي من حيث أصابتني الرصاصة أسفل الأذن اليمنى !

لا .. لم أقتلها ...

إن الصورة التي رأيتها فجأة في المرآة شلت حركاتي ... فأرخيت قبضتي، وتركتها تهوي على الأرض .. ثم تملكني انهيار تام . وأخذت هي تواسيني .. نعم تواسيني !

قلت لها كل شيء ... وقالت لي إنها قصدت بعبارة الشخص الذي يحبها ويحتاج إليها ... شقيقها "**الآن**" ... لقد تصافينا تلك الليلة ... وتكاشفنا حتى أعمق أعماق القلوب ... ولا أظن أنه حدث بيننا بعد ذلك في يوم من الأيام ما عكر صفو سعادتنا ...

حقًّا إنها لذكرى رهيبة ... ولولا فضل الله ثم المرآة ، لكنت الآن قاتلا !

لقد قتل شيء واحد في تلك الليلة ... هو الغيرة التي استحوذت على عقلي واستبدت بنفسي طوال تلك الفترة ...

لكنني لا أتمالك أن أتساءل أحيانا ... لنفرض أنني لم أرتكب تلك الغلطة التي يعرفها كل مبتدئ عن ندبة الجرح التي على الخد (الأيسر) ... في حين أنها في الحقيقة على الخد (الأيمن) معكوسة في المرآة ....

هل كنت أستطيع أن أتأكد تماما أن الرجل هو "**تشارلز كرولي**" ؟ .... وهل كنت أعمد إلى تحذير "**سيلفيا**" ؟ وهل كانت تتزوجه ... أم تتزوجني ؟

*****

لغز العروس المسحورة

- هذا هو العميد "كلابرتون" ....

قال لها السيد "فوريز" بلهجة جمعت بين التحكم والاشمئزاز ... فلم تتمالك الآنسة "أليس هندرسون" أن مالت إلى الأمام ، وقد داعب هواء البحر خصلة من شعرها الذي تسلل إليه المشيب ، وقالت بخبث متلذذة :

- ألم يكن في الحرس الملكي ؟

فانفجر السيد "فوريز" قائلا :

- الحرس الملكي ؟ ... الحرس الملكي ؟ ... كلام فارغ .. صاحبنا كان يعمل في المسرح الفكاهي ... هذه هي الحقيقة ..ثم التحق بالخدمة في أثناء الحرب، وذهب إلى "فرنسا" ليعد علب المربى للقوات المحاربة ... ثم ألقى الألمان قنبلة طائشة فعاد إلى "إنجلترا" بجرح سطحي في ذراعه ... وبطريقة ما كان نصيبه العلاج في مستشفى السيدة "كارنجتون"

- إذن كان هذا سبب التقائهما ؟

- هذه هي الحقيقة ... إن صاحبنا لعب دور البطل الجريح ... وكانت السيدة "كارنجتون" امرأة قليلة العقل كثيرة المال ... كانت أرملة لم يمض على وفاة زوجها في الحرب أكثر من ستة أشهر ... وقد استطاع هذا المخلوق أن يلعب بعقلها في فترة وجيزة ... فسعت إلى إلحاقه بعمل في وزارة الحربية .

- وقبل الحرب كان يعمل في المسرح الفكاهي ؟

قالت الآنسة "هندرسون" متأملة وهي تتصور بعين الخيال العميد "كلابرتون" الأنيق الأشيب الشعر وهو في صورة مغن كوميدي أحمر الأنف

يغني أغنيات مثيرة للمرح والضحك، فقال "**فوريز**" مرة أخرى :

– هذه هي الحقيقة التي سمعتها من مصادر متعددة نقلا عن أشخاص موثوق بهم .

فأومأت الآنسة "**هندرسون**" ممتدحة .

– هذا يؤيد معلوماتك بما فيه الكفاية ....

والواقع أن ابتسامة عابرة طافت لحظة على و جه رجل قصير القامة كان يجلس بجوارهما ... ولم تفت هذه الابتسامة الآنسة "**هندرسون**" ... فهي قوية الملاحظة ... وقد رأت فيها تقديرا وفهما لما لابس عبارتها الأخيرة من تهكم ضمني ... ذلك التهكم الذي لم يفطن إليه محدثها السيد "**فوريز**" بأي حال ...

والواقع أن "**فوريز**" نفسه لم يفطن حتى إلى ابتسامة الرجل القصير ... وما لبث أن نظر إلى ساعته ثم نهض قائلا :

– حان وقت الرياضة والمشي ... لابد أن يبقى الإنسان في حالة لياقة صحية وهو في الباخرة ..

ثم خرج على الأثر من الباب المفتوح إلى سطح الباخرة ..

تطلعت الآنسة "**هندرسون**" إلى الرجل صاحب الابتسامة بنظرة مهذبة كان معناها أنها على استعداد للدخول في حديث مع زميل الرحلة البحرية ..

فقال الرجل القصير :

– إنه رجل نشيط ....

فقالت الآنسة "**هندرسون** " :

– إنه يطوف بسطح الباخرة 48 مرة بالتمام ! ياله من ثرثار ! ويقولون عنا إننا نحن الجنس المغرم بالكلام في الفضائح !

- ياله من افتراء وقح !.

فقالت الآنسة "هندرسون" بلهجة المستطلع :

- إن الفرنسيين مهذبون دائما ...

فتجاوب الرجل القصير معها في الحال قائلا :

- إنني بلچيكي يا آنسة ..

اسمي "هركيول بوارو" ... وأنا في خدمتكم ...

أثار هذا الاسم لديها ذكرى ما ...لابد أنها سمعت به من قبل ... ولكن أين؟

قالت :

- هل تستمتع بهذه الرحلة يا سيد "بوارو" ؟

- بصراحة ، لا ... كان من البلاهة أن أسمح لنفسي بالمجيء ... إنني أكره البحر ... إنه لا يهدأ أبدا .. ولو حتى دقيقة واحدة ..

- لابأس ... لابد أن تعترف أنه هادئ جداً في الوقت الحالي ...

فاعترف "بوارو" بهذا على كره منه ، قائلا :

- في اللحظة الحالية ، نعم ... وهذا هو السبب في انتعاشي الحالي ... إنني أعود إلى الاهتمام من جديد بما يدور حولي .. طريقتك مع السيد "فوريز" مثلا

- تعني .. ؟

وتوقفت الآنسة " هندرسون " عن إتمام ما كانت تريد قوله فحنى "هركيول بوارو" رأسه قائلا :

- أعني أسلوبك في انتزاع الفضائح .. هو أسلوب رائع !

فضحكت الآنسة "هندرسون" ضحكة لا أثر فيها للخجل ، ومالت إلى الأمام قائلة بلهجة من تفضي بسر :

– أعترف أنني أحب الفضائح ... وكلما كانت مثيرة كانت أفضل ! .

راح "**بوارو**" ينظر إليها متأملا ... كانت نحيلة العود سوداء العينين يشع منهما بريق الذكاء والخبث ، وقد داعب الشيب الخفيف شعرها ... كانت امرأة في الخامسة والأربعين ، قانعة بأن تبدو في هذه السن .

وفجأة قالت "**أليس هندرسون**" :

– تذكرت ... ألست أنت المخبر السري المشهور ؟

فانحنى "**بوارو**" قائلا :

– أنت رقيقة يا آنسة ...

لكنه لم يناقض كلامها ... فقالت :

– يا للغرابة ! يا للإثارة ! هل أنت وراء الأثر ، كما يقولون في القصص البوليسية ؟ هل يوجد مجرم قد تخفى بيننا ؟ ...

– عفوا .. عفوا ... يؤسفني أن أخيب توقعاتك ، ولكنني هنا ببساطة مثل أي مسافر آخر للاستجمام والاستمتاع ...

قال "**بوارو**" هذا بلهجة مكتئبة ، حتى لم تتمالك الآنسة "**هندرسون**" أن ضحكت قائلة :

– لابأس .. سوف يكون بإمكانك أن تنزل إلى البر في ميناء "**نيقوسيا**" غدا هل زرت جزيرة "**قبرص**" من قبل ؟

– أبدا يا آنسة ...

وفجأة نهضت قائلة :

– أظن أنني سأنضم إلى السيد "**فوريز**" في نشاطه الرياضي ...

فوثب "**بوارو**" قائما تأدبا واحتراما .. فأومأت إليه برأسها إيماءة خفيفة ، وخرجت إلى سطح الباخرة ..

لاحت على وجه "**بوارو**" نظرة شفت عن الاستغراب ، لكنها لم تدم طويلا ، وحلت محلها ابتسامة يسيرة .. وما لبث أن نهض وأطل برأسه من خلال الباب إلى سطح الباخرة .. فشاهد الآنسة "**هندرسون**" واقفة مستندة إلى حاجز الباخرة تتحدث إلى رجل طويل القامة ، عسكري الهيئة .

زادت ابتسامة "**بوارو**" استعراضا ... وارتد إلى داخل قاعة التدخين بالكيفية نفسها التي تتبعها السلحفاة وهي تتقوقع داخل سطحها الصدفي ... إن قاعة التدخين كانت خالية له وحده في الوقت الحالي ، وإن كان واثقا بأن هذا لن يدوم طويلا ....

وهذا ما حدث بالفعل ... فقد أهلت من الباب المؤدي إلى المشرب السيدة "**كلابرتون**" .... كان شعرها البلاتيني المتموج محاطا بشبكة تحفظ تموجه وانسجامه ، وقوامها المشدود بتأثير التدليك والتغذية ، ملفوفا ببذلة رياضية أنيقة ، وكل مافيها يدل على امرأة تستطيع دائما أن تدفع أغلى الأسعار للحصول على كل ما تشتهي ...

قالت :

– "**چون**" ! ... آه ! صباح الخير يا سيد "**بوارو**" هل رأيت زوجي "**چون**" ..

– هو على السطح الأمامي يا سيدتي .. هل .. ؟

لكنها استوقفته بإشارة قائلة :

– سأجلس هنا دقيقة ...

وجلست في المقعد المواجه له كما تجلس ملكة ...كانت تبدو من بعيد وكأنها ابنة الثامنة والعشرين ..

أما الآن وعلى الرغم من وجهها الذي بالغت في تجميله ، فإنها لم تبد فقط في سنها الحقيقية وهي التاسعة والأربعون ، بل بدت كأنها في الخامسة والخمسين ،

وكانت عيناها زرقاوين باهتتين ، بحدقتين ضيقتين . .

قالت له :

– من الأسف إني لم أرك في أثناء العشاء في الليلة الماضية . . . كانت المائدة تهتز أكثر الوقت بالتأكيد . .

فقال "بوارو" بانفعال :

– بالضبط . .

– فقالت السيدة **"كلابرتون"** :

– من حسن الحظ أنني خبيرة بالبحر . . . وأقول من حسن الحظ؛ لأنني مع ضعف قلبي يمكن أن أتعرض للموت بسبب دوار البحر . .

– هل عندك ضعف في القلب يا سيدتي ؟

– نعم . . . ولابد لي من مراعاة الاحتراس . . . يجب ألا أجهد نفسي كثيرا . . . كل الأطباء الإخصائيين يقولون لي هذا . . .

ومضت السيدة **"كلابرتون"** تتوسع في الحديث عن الموضوع المحبب إليها دائما وهو حالتها الصحية قائلة :

– إن **"چون"** زوجي المسكين يقلق نفسه كثيرا لمنعي من التعرض لأي إجهاد . . . إنني أعيش حياتي بالعرض

– إن كنت تدرك ما أعني يا سيد **"بوارو "** . . .

– نعم . . . نعم . . .

– إنه يقول لي حاولي دائما أن تقللي من غذائك يا **"أدلين"** . . . لكن هذا ليس في قدرتي . . . لابد أن نعيش حياتنا . . . والحقيقة أنني أجهدت نفسي كثيرا وأنا فتاة في أثناء الحرب . . إن مستشفاي . . هل سمعت عن المستشفى الخاص الذي أنشأته ؟ بالتأكيد كان عندي ممرضات ورئيسات وغير ذلك . .

لكنني كنت في الواقع أشرف على كل شيء فيه بنفسي !

وتنهدت ...

فقال "**بوارو**" :

- إن حيويتك مثيرة للإعجاب يا سيدتي العزيزة ...

فضحكت السيدة "**كلابرتون**" ضحكة متصابية وقالت :

- كل الناس يقولون لي إنني أبدو في نضارة الشباب ... كلام فارغ ! أنا لاأتظاهر أبدا بأنني أقل يوما واحدا عن سن الثالثة والأربعين ... ولكن الكثيرين لايصدقون هذا ويقولون لي أنت آية في الحيوية والنشاط يا "**أدلين**" ... لكن ماذا يكون الإنسان بالفعل يا سيد "**بوارو**" ، إذا لم يكن نابضا بالحياة والحيوية؟

فقال "**بوارو**" :

- يكون ميتا ...

قطبت السيدة "**كلابرتون**" وجهها .. لم يرقها هذا الرد ... لاشك أن هذا الرجل يريد أن يتفكه أو يتظرف ...

ولم تلبث أن نهضت قائلة ببرود :

- لابد أن أبحث عن "**چون**" ...

- وبينما هي تخرج من الباب إذ سقطت حقيبة يدها ....فانفتحت وتناثرت محتوياتها طولا وعرضا ... فأسرع "**بوارو**" إلى نجدتها شأن رجل الشهامة والمروءة ... وقد مضت دقائق قبلما يتم جمع أنابيب أحمر الشفاه وعلب المساحيق وعلبة السجائر والولاعة وغيرها من شتى المقتنيات ... وقد شكرته السيدة "**كلابرتون**" بأدب .. ثم خرجت إلى السطح منادية : "**چون**" ... كان العميد "**كلابرتون**" لايزال منهمكا في حديثه إلى الآنسة

"**هندرسون**" ... وسرعان ما استدار في مكانه و خف مسرعا لملاقاة زوجته ... وقد انحنى فوقها يوفر لها الحماية التامة ... هل مقعدها القماشي في وضع مأمون ؟... أليس من الأفضل أن ...

كان أسلوبه في الحق مليئا بالرعاية والاهتمام ...لاشك أنها زوجة محبوبة يدللها زوج متفان في محبته ...

وقفت الآنسة "**هندرسون**" تنظر إلى الأفق وكأن شيئا فيه كان يثير اشمئزازها وكان "**هركيول بوارو**" واقفا عند باب قاعة التدخين ينظر إلى ما يدور ... ولم يلبث أن سمع من خلفه صوتا أجش مرتعشا يقول صاحبه :

– لو كنت زوج هذه المرأة لجئت بفأس وقطعت رقبتها !

كان هذا العجوز المعروف بين المسافرين الأصغر سنا في الرحلة باسم "**جد مزارعي الشاي**" وقد أقبل توا إلى قاعة التدخين ، وعلى الأثر نادى الساقي قائلا :

– إليَّ بكأس شراب في الحال !

أما "**بوارو**" فقد انحنى لكي يلتقط قصاصة ورق سقطت من حقيبة السيدة "**كلابرتون**" و لم تنتبه إليها ... فرآها جزءا من (روشتة) دواء بها اسم عقار "**الديجيتالين**" .. فوضعها في جيبه وفي نيته أن يردها إلى صاحبتها فيما بعد واستطرد المسافر العجوز يقول :

– نعم .... امرأة سامة كالأفعى .. إنني أتذكر امرأة مثلها في "**بونا**" . كان ذلك سنة 1887 ...

فقال له "**بوارو**" :

– وهل ذهب إليها أحد بفأس ؟

فهز العجوز رأسه بحزن قائلا :

– إنها ظلت تضايق زوجها حتى أنزلته إلى القبر في خلال سنة واحدة لاأكثر.. على صاحبنا "**كلابرتون**" أن يثبت شخصيته ... إن تصرفاته تزيد زوجته غرورا ...

فقال "**بوارو**" برصانة :

– إن مفتاح بيت المال في يدها ...

فضحك العجوز قائلا :

– ها ها ! إنك أحسنت تصوير الموقف .. مفتاح بيت المال في يدها .... هاها!

واندفعت إلى قاعة التدخين فتاتان إحداهما مستديرة الوجه منقطة البشرة سوداء الشعر الذي عبث به الهواء ، والثانية كستنائية الشعر منقطة الوجه مثلها.... وهتفت إحداهما "**كيتي موني** " :

– إلى النجدة ! إلى النجدة ! إن "**باميلا**" وأنا سنتولى إنقاذ العميد "**كلابرتون**" !

وأضافت "**باميلا كريجان**" لاهثة الأنفاس:

– من زوجته ؟

– في رأينا أنه ضحية مسكين ...

وزوجته مخيفة ... إنها لاتترك له الفرصة لكي يفعل أي شيء لنفسه !

– وإذا لم يكن في صحبتها ، سرعان ما تنقض عليه المرأة المدعوة "**هندرسون**" وتخطفه !

– هي ظريفة حقيقة ، لكنها عجوز متصابية !

أسرعت الفتاتان خارجتين وهما تلهثان من الضحك مرددتين كلماتهما :

– إلى النجدة ! إلى النجدة !

كانت هذه النجدة أو عملية إنقاذ العميد "**كلابرتون**" من ظروفه المحزنة شغل الفتاتين الشاغل . ففي هذا المساء نفسه جاءت" **باميلا كريجان**" التي لم تتجاوز الثامنة عشرة إلى "**هركيول بوارو**" وغمغمت تقول له :

– عليك بتشديد المراقبة يا سيد "**بوارو**" ... إنه سوف ينتزع من تحت أنف زوجته ويؤخذ إلى السطح للنزهة في ضوء القمر .

في هذه اللحظة نفسها كان العميد "**كلابرتون**" يقول لزوجته :

– إنني أراهنك على ثمن سيارة "**رولز رويس**" .إن سيارتي .....

وسرعان ما قاطعته السيدة "**كلابرتون**" بصوتها الحاد الأجش قائلة :

– تقصد سيارتي أنا يا "**چون**" .

لم يبد الزوج أي استياء من فظاظتها ... والظاهر أنه اعتاد ابتلاع هذه الإهانات بحكم الزمن ، أو أن . . .

وهذا بالفعل ماقاله "**بوارو**" لنفسه وهو يتأمل: أو أن ...

أما "**كلابرتون**" فقد حنى رأسه لزوجته واختتم موضوع المناقشة قائلا بغير أدنى ضيق ولاحرج :

– بالتأكيد سيارتك يا عزيزتي ...

وطرح اقتراح للعب (البريدچ) ... وتكونت المجموعة من السيدة "**كلابرتون**" ، والسيد "**فوريز**" واثنين من فريق الرحلة لهما أعين الصقور ... أما الآنسة "**هندرسون**" فقد اعتذرت وخرجت إلى سطح الباخرة .....

وقال السيد "**فوريز**" مترددا:

– وماذا عن زوجك ؟

فأجابت السيدة "**كلابرتون**" :

– إن "**چون**" لن يلعب (البريدچ) ... وهذه سخافة منه ....

وبدأ اللاعبون خلط الأوراق . . .

وانقضت "**باميلا** " و"**كيتي**" على العميد "**كلابرتون**" وأمسكتا بذراعيه ، فقالت "**باميلا** " :

– سوف تأتي معنا ! إلى السطح ! . . . حيث ضوء القمر !

فقالت السيدة "**كلابرتون**" :

– لا تكن أبله يا "**چون**" . . . سوف تتعرض للبرد !

فقالت "**كيتي**" :

– لن يتعرض للبرد وهو معنا . . عندنا الدفء والحرارة !

فذهب معهما ضاحكا . .

وخرج "**بوارو**" بدوره إلى السطح . . . فوجد الآنسة "**هندرسون**" واقفة مستندة إلى الحاجز . . . وقد تطلعت إليه متشوقة عندما اقترب منها ووقف بجانبها ، ولم تفته نظرة الكآبة التي تبدو في عينيها . . .

وتجاذبا الحديث فترة . . وعندما لزم الصمت سألته :

– ما الذي تفكر فيه ؟

فأجاب "**بوارو**" :

– إنني أراجع معرفتي باللغة الإنجليزية . . سمعت السيدة "**كلابرتون**" تقول إن "**چون**" لن يلعب (البريدچ) . . أليس التعبير الصحيح هو أن تقول : لايمكنه أن يلعب ؟

فقالت "**أليس هندرسون**" بجفاء :

– هي تعتبر عدم لعبه إهانة لها فيما أظن ! إن هذا الزوج ارتكب حماقة بالزواج بها !

فابتسم "**بوارو**" في الظلام وقال :

– أليس من رأيك أن هذا الزواج قد يكون موفقا ؟

– الزواج بامرأة مثل هذه ؟ !

فهز "**بوارو**" كتفيه قائلا :

– كم من امرأة كريهة لها زوج متفان مخلص .. هذا لغز من ألغاز الطبيعة... لابد أن تعترفي أنه لاشيء مما تقوله أو تفعله يمكن أن يثيره ..

كانت الآنسة "**هندرسون**" تفكر في الرد عندما صدر صوت السيدة "**كلابرتون**" من نافذة قاعة التدخين وهي تقول :

– لا .. لا أظن أنني سألعب دورة ثانية ... الجو هنا حار مكتوم ... سأخرج إلى السطح لاستنشاق شيء من الهواء ...

وفجأة قالت الآنسة "**هندرسون** " لـ"**بوارو**" :

– ليلتك سعيدة ... سأذهب للنوم ...

واختفت من أمامه مسرعة ...

وتمشى "**بوارو**" الهوينى إلى صالة الجلوس وكانت خالية إلا من العميد "**كلابرتون**" و الفتاتين ... وكان يؤدي أمامهما ألعابا بالورق تدل على خفة اليد والبراعة ... وعندئذ تذكر "**بوارو**" ما ذكره السيد "**فوريز**" عن ماضي حياة "**كلابرتون**" في المسرح الترفيهي ...

وقال له "**بوارو**" معرضًا :

– أراك تستمتع بألعاب الورق رغم أنك لا تلعب (البريدج) ..

فقال "**كلابرتون**" وقد تزايدت ابتسامته الساحرة استعراضا :

– عندي أسبابي الخاصة لعدم لعب (البريدج) سأريكم ... سنلعب دورة صغيرة ...

ورتب الأوراق بسرعة ووضعها أمامهم .. ثم مد يده إلى أوراقه وتبعه الباقون

فكان نصيب "كيتي" مجموعة (الإسباتي) كلها ... ونصيب "**بوارو**" مجموعة (الكوبه) ... ونصيب "**باميلا**" مجموعة (الديناري) .. وأما نصيبه فكان مجموعة (البستوني) ...

وقال لهم :

– هل رأيتم ؟ ... إن الرجل الذي يمكنه أن يوزع على شريكه في اللعب وعلى خصومه يوزع أي أوراق يريدها ، يحسن به أن ينسحب إذا كانت لعبة ودية .. فإن الحظ إذا حالفه أكثر من اللازم ، ساءت العلاقات الودية حتما !

فقالت "كيتي" مبهورة :

– كيف يمكنك أن تفعل كل هذا ؟ ... الأوراق كلها كانت تبدو طبيعية...

فقال "بوارو" بلهجة معنوية :

– إن خفة اليد تخدع العين ...

وفي طرفة عين لمح ذلك التغيير المفاجئ الذي بدا في ملامح "**كلابرتون**" ، وكأنه نسي لحظة أن يأخذ حذره ....

لم يتمالك "بوارو" أن ابتسم .. فإن (الحاوي) قد بدا له بجلاء من خلال قناع الرجل الوديع المسالم ..

وصلت الباخرة إلى ميناء "**نيقوسيا**" في فجر اليوم التالي .. وعندما خرج "بوارو" بعد الفطور وجد الفتاتين على أهبة النزول إلى البر ... وكانتا منهمكتين في الحديث إلى العميد "**كلابرتون**" ...

قالت "كيتي" تحثه :

– لابد أن ننزل الآن ... سوف تأتي معنا ، أليس كذلك ؟ .. لايمكن أن تتركنا ننزل إلى البر وحدنا .. فقد يحدث لنا أي شيء !

فقال العميد "**كلابرتون**" باسما :

– أنا لا أستحسن بالتأكيد أن تنزلا وحدكما . لكنني غير متأكد أن زوجتي تميل إلى النزول ...

فقالت "**باميلا**" :

– هذا من سوء الحظ .. يمكنها أن ترتاح ...

بدا التردد على العميد "**كلابرتون**" ... كان ميله إلى التهرب واضحا ... وعندما لمح "**بوارو**" ، قال له :

– أهلا يا سيد "**بوارو**" .. هل ستذهب إلى الشاطئ ؟

فأجاب "**بوارو**" :

– لا .. لا ... أظن ...

– إنني . إنني سأتبادل كلمة مع "**أدلين**" ..

هكذا كان قراره .. فقالت له "**باميلا**" وقد صوبت غمزة خاطفة إلى "**بوارو**" :

– سوف نذهب معك ...

ثم أضافت برصانة :

– ربما أمكننا أن نقنعها بالمجيء معنا ...

بدا أن العميد "**كلابرتون**" رحب بهذا الاقتراح ... والواقع أنه صادف هوى في نفسه حتى لاحت عليه مظاهر الارتياح ... وقال بانتعاش:

– تعالوا معي إذن ! ..

وذهب ثلاثتهم في ممشى العنبر (ب) معا ...

ولم يلبث "**بوارو**" الذي كانت قمرته في مواجهة قمرة "**كلابرتون**" وزوجته أن تبعهم من باب حب الاستطلاع ...

ووقف العميد "**كلابرتون**" ينقر على باب القمرة بشيء من العصبية قائلا :

– "**أدلين**" يا عزيزتي .. هل أنت مستيقظة ؟

– فجاء صوت السيدة "**كلابرتون**" من الداخل يغلبه النعاس :

– يا للجلبة ! ماذا هناك ؟

– أنا "**چون**" ... ما رأيك في النزول إلى البر ؟

فجاء الصوت أجش حاسما هذه المرة :

– بالتأكيد لا ... إنني قضيت ليلة سيئة .. سأبقى في الفراش معظم النهار..

فأسرعت "**باميلا**" تجرب حظها قائلة :

– أنا آسفة يا سيدة "**كلابرتون**" ... بودنا أن تأتي معنا ... هل أنت متأكدة أنك غير راغبة ؟

فانبعث صوت السيدة "**كلابرتون**" هذه المرة أكثر حدة :

– كل التأكيد ...

– وحاول العميد "**كلابرتون**" أن يدير أكرة الباب دون جدوى ...

– ما هذا يا "**چون**" ؟ الباب مغلق بالمفتاح ... لاأريد أن يقلقني أحد من خدم الباخرة ...

– آسف يا عزيزتي ... آسف ... كنت أريد فقط المعطف ...

فردت السيدة "**كلابرتون**" بحدة قائلة :

– لن تأخذه .. لن أقوم من فراشي ... اذهب عني يا "**چون**" ! . ودعني أستريح قليلا !

– بالتأكيد يا عزيزتي .. بالتأكيد ...

وتراجع العميد عن باب القمرة .. فحاصرته "**باميلا**" و"**كيتي**" من الجانبين

قائلتين :

– لنذهب في الحال ... الحمد لله أن قبعتك على رأسك .. آه ... هل جواز سفرك في القمرة ؟

فأجاب العميد :

– في الحقيقة هو في جيبي بعد أن فحصه مندوب الجوازات ...

– فشدت **"كيتي"** على ذراعه قائلة :

– يا للصدف السعيدة ! ... الآن هيا بنا !

ووقف **"بوارو"** مستندا إلى حاجز السطح يراقب الثلاثة وهم يغادرون الباخرة.. وعندما سمع صوت تنفس بالقرب منه أدار رأسه ، فرأى الآنسة **"هندرسون"** التي وقفت مركزة نظراتها على الأشخاص الثلاثة المبتعدين ... وقالت له دون مقدمات :

– إذن فقد ذهبوا إلى الشاطئ !

– نعم .. هل أنت ذاهبة أيضا ؟ ...

ولاحظ أنها مرتدية قبعة عريضة ضد الشمس وحذاء وحقيبة أنيقين ، وبهذا كان مظهرها يدل على استعداد للنزول إلى الشاطئ . ومع ذلك فإنها هزت رأسها قائلة :

– .... أظن أنني سابقى هنا... عندي خطابات كثيرة أريد أن أكتبها ...

وتحولت عنه وتركته ...

ولم يلبث السيد **"فوريز"** الذي كان يلهث من الدورات الثماني والأربعين التي كان يؤديها كل يوم على سطح الباخرة العلوي أن حل محلها إلى جانب **"بوارو"** وهتف وهو يتابع بنظره **"كلابرتون"** والفتاتين المبتعدتين :

– آه ! ... هذه هي اللعبة إذن ! أين الزوجة ؟

فبين له "بوارو" أن السيدة "**كلابرتون**" قررت أن تستريح في الفراش ...

فقال الرجل وهو يغمز بإحدى عينيه غمزة العارف الخبير :

– لاتصدق هذا ... إنها ستقوم في موعد الغداء ...

وإذا تغيب صاحبنا المسكين ، فسوف تحدث معركة حامية !

لكن تنبؤات "**فوريز**" لم تتحقق . فإن السيدة "**كلابرتون**" لم تظهر في موعد الغداء .. وعندما عاد العميد "**كلابرتون**" مع الفتاتين إلى الباخرة في الساعة الرابعة مساء ، لم تظهر السيدة "**كلابرتون**" أيضا ...

وكان "**بوارو**" في قمرته وسمع الزوج وهو يطرق باب القمرة مترددا كالمذنب... وسمع الطرق يتكرر ... وسمع الأكرة وهي تدار في الباب......

وفي النهاية سمع العميد وهو ينادي أحد خدم الباخرة قائلا :

– اسمع .. إنني لاأجد صوتا من الداخل ... هل معك مفاتيح ؟

فنهض "**بوارو**" مسرعا من سريره وخرج إلى الممشى ...

*****

انتشر النبأ في أرجاء الباخرة انتشار النار في الهشيم ..

سمع الركاب ، وهم لايصدقون مشدوهين ، أن السيدة "**كلابرتون**" عثر عليها ميتة في فراشها وقد أغمد في قلبها خنجر محلي، ووجد عقد من الأصداف البحرية ملقى على أرض القمرة ...

وتوالت الشائعات واحدة تلو الأخرى .. فقد أسرع بوليس الميناء باعتقال جميع الباعة الجائلين الذين سمح لهم بالصعود إلى الباخرة هذا اليوم وأخذ يستجوبهم ... وقيل إن مبلغا نقديا كبيرا قد اختفى من درج في القمرة وقد أمكن تعقب أرقام أوراق البنكنوت ... لم يتمكن البوليس من تعقب

الأرقام! . وقيل إن جواهر تساوي ثروة طائلة سرقت من القمرة ...

ثم قيل إنه لم تسرق أية جواهر بالمرة ! . قيل أخيرا إن أحد خدم الباخرة قد اعتقل واعترف بارتكاب الجريمة .

وفي خلال هذا اعترضت الآنسة "**أليس هندرسون**" طريق "**بوارو**" وسألته :

– ما هي الحقيقة في هذا كله ؟

– وكيف أعرف يا سيدتي العزيزة ؟

فقالت الآنسة "**هندرسون**" :

– بالتأكيد تعرف ....

كان الوقت ليلا ،وقد أوى معظم المسافرين إلى داخل قمراتهم ... ولكن الآنسة "**هندرسون**" قادت "**بوارو**" إلى مقعدين من القماش في جانب محصن من الباخرة ، وقالت له بلهجة الأمر:

– الآن قل لي ...

راح "**بوارو**" يتفحصها بنظراته مفكرا ، ثم قال :

– إنها قضية طريفة ...

– هل صحيح إنه سرقت منها جواهر ثمينة ؟

فهز "**بوارو**" رأسه قائلا :

– لا .. لم تسرق أية جواهر ... وكل ما هناك هو اختفاء مبلغ نثري صغير كان في أحد الأدراج ...

فقالت الآنسة "**هندرسون**" وهي ترتعد :

– إنني لن أشعر أبدا بالأمان في أية سفينة ... هل هناك أي دليل على أن واحدا من أهالي الميناء قد ارتكب الجريمة؟

فأجاب "**هركيول بوارو**" :

ـ لا .. المسألة كلها أقرب إلى الغرابة ...

فقالت "**أليس**" بحدة :

ـ ماذا تعني ... ؟

ـ فبسط "**بوارو**" يديه قائلا :

ـ حسنا ... لنستعرض الحقائق ... إن السيدة "**كلابرتون**" كانت ميتة منذ خمس ساعات على الأقل عند العثور عليها ... وقد اختفى مبلغ من المال ... ووجد بجانب فراشها على الأرض عقد من الأصداف البحرية ... وكان باب القمرة مغلقا والمفتاح مفقودا ..والنافذة ـ أقول النافذة وليس الكوة الصغيرة ـ التي تطل على السطح ، كانت مفتوحة ...

فقالت المرأة وهي نافدة الصبر :

ـ حسنا ...

ـ ألا تظنين أنه مما يستغرب أن ترتكب جريمة قتل في ظل هذه الظروف المعينة ؟ تذكري أن باعة البطاقات المصورة ، وعقود الأصداف البحرية ، وصرافي النقود ، معرفون جيدا للبوليس المحلي ...

فقالت "**أليس هندرسون**" بأنفاس شبه محتبسة :

ـ ما الذي تفكر فيه بالضبط يا سيد "**بوارو**" ؟

إنني أفكر في الباب المغلق بالمفتاح ...

ـ فجعلت الآنسة "**هندرسون**" تتأمل برهة ، ثم قالت :

ـ لست أرى شيئا في هذا ... إن القاتل خرج من الباب ثم أغلقه بالمفتاح وأخذه معه لكي يتجنب اكتشاف الجريمة في وقت مبكر .. وكانت هذه خطوة ذكية منه؛ لأن الجريمة لم تكتشف إلا في الساعة الرابعة بعد الظهر ...

ـ لا، لا يا آنسة ... أظنك لا تقدرين بما فيه الكفاية النقطة التي أحاول

إبرازها... إنني لست مشغولا بالكيفية التي (خرج) بها ، بل بالكيفية التي (دخل) بها ..

– عن طريق النافذة بالتأكيد ..

– هذا ممكن ... ولكن هذه طريقة محفوفة بالخطر ... فهناك أناس يمرون على السطح ذهابا وإيابا طوال الوقت كما تعرفين ...

فقالت الآنسة "**هندرسون**" وقد نفد صبرها :

– إذن فقد دخل من الباب ...

– لكنك تنسين يا آنسة أن السيدة "**كلابرتون**" أغلقت الباب بالمفتاح من الداخل .. إنها فعلت هذا قبلما يغادر العميد "**كلابرتون**" الباخرة ... هذا الصباح ... إنه فعلا جرب فتح الباب ولم يستطع وهذه هي الحقيقة المعروفة لنا...

– كلام فارغ ... ربما عاكسه الباب ... أو أنه لم يدر الأكرة بالدرجة الكافية ...

– لكن المسألة لا تتعلق بكلامه ... إننا بالفعل سمعنا السيدة "**كلابرتون**" نفسها تقول إن الباب مغلق بالمفتاح من الداخل ..

– تقول إننا ؟

– أعني الآنسة "**باميلا**" ، والآنسة "**كيتي**" ، والعميد "**كلابرتون**" ، وأنا ..

لم تتكلم الآنسة "**هندرسون**" برهة راحت خلالها تطرق الأرض بحذائها الأنيق.. ثم قالت أخيرا بلهجة الاستياء:

– لابأس . ما الذي تستنتجه بالضبط من هذا ؟

– إذا كان بوسع السيدة "**كلابرتون**" أن تغلق الباب بالمفتاح فإن بوسعها أن تفتحه أيضا فيما أظن ..

فنظر إليها "**بوارو**" متهلل الوجه قائلا :

ـ تماما .. تماما .. وأنت ترين ما الذي يوصلنا هذا إليه ... إن السيدة "**كلابرتون**" (فتحت) الباب المغلق بالمفتاح وأدخلت القاتل ... فهل يمكن أن تفعل هذا إزاء بائع عقود متجول كما يقال ؟

فاعترضت الآنسة "**هندرسون**" قائلة :

ـ ربما لم تكن تعرف من هو القادم . ربما طرق الباب ... فنهضت وفتحت له... فدخل بالقوة وقتلها ...

هز "**بوارو**" رأسه قائلا :

ـ بالعكس .. إنها كانت راقدة في فراشها في سلام عندما تلقت طعنة الخنجر...

حملقت الآنسة "**هندرسون**" إلى وجهه .. وقالت فجأة :

ـ ما هو رأيك إذن ؟ !

فابتسم "**بوارو**" قائلا :

ـ يبدو لي وكأنها كانت تعرف الشخص الذي أدخلته ...

ـ تعني أن القاتل هو من ركاب الباخرة ؟

ـ فأومأ "**بوارو**" قائلا :

ـ هذا الرأي له ما يدل عليه ...

ـ وكان عقد الأصداف البحرية الذي وجد على الأرض من قبيل التعمية ؟ تماما ...

ـ وسرقة النقود أيضا ؟

ـ بالضبط ...

ـ ساد الصمت برهة .. وما لبثت الآنسة "**هندرسون**" أن قالت بتؤدة :

– إنني كنت أظن دائما أن السيدة "**كلابرتون**" امرأة كريهة ، ولا أظن أن أحدا على ظهر هذه الباخرة كان يحبها .. لكن لم يكن هناك أي شخص عنده أي سبب يدعوه لقتلها ...

– فقال "**بوارو**" :

– ربما فيما عدا زوجها ..

– أنت لاتظن حقًّا أن ...

وتوقفت عن إتمام كلماتها ..

– إن رأي كل إنسان على ظهر هذه الباخرة أن العميد "**كلابرتون**" له ما يبرر عمله كل التبرير لو أنه ذهب إليها بالفأس ... أظن أن هذا هو التعبير الذي قيل .

راحت الآنسة "**هندرسون**" تتطلع إليه؛ انتظارا لمزيد من البيان .

فاستطرد "**بوارو**" قائلا :

– لكن لابد لي من القول بأنني شخصيا لم ألاحظ أية علامات تدل على السخط أو الغيظ من جانب العميد الطيب .. كما أن هناك ما يثبت وجوده بعيدا عن مكان الجريمة وقت وقوعها ...فإنه كان بصحبة الفتاتين طول النهار، ولم يرجع إلى الباخرة إلا في الساعة الرابعة مساء ... وفي هذا الوقت كانت السيدة "**كلابرتون**" مقتولة منذ بضع ساعات ..

ساد الصمت مرة أخرى فترة أطول ... ثم قالت الآنسة "**هندرسون**" بصوت خافت :

– لكنك لاتزال ترى ... أنه واحد من ركاب الباخرة ؟

فحنى "**بوارو**" رأسه إيجابا ...

وعندئذ ضحكت "**أليس هندرسون**" فجأة ضحكة لاهثة متحدية وقالت :

– ربما كان من الصعب أن تثبت نظريتك هذه يا سيد "**بوارو**" ... فهناك ركاب كثيرون في الباخرة ...

فحنى "**بوارو**" رأسه قائلا :

– سوف أستعير تعبيرا أورده أحد كتاب القصص البوليسية عندكم وهو الذي يقول "عندي طرقي الخاصة يا "**واطسون**" !

*****

في مساء اليوم التالي ، وفي موعد طعام العشاء وجد كل راكب من ركاب الباخرة ورقة مكتوبة بالآلة الكاتبة بجانب الطبق المخصص له على المائدة تطلب منه أن يكون موجودا في صالة الجلوس الرئيسية في الساعة الثامنة والنصف.. وعندما تكامل جمعهم صعد ربان الباخرة إلى المنصة المخصصة لفرقة الأوركسترا عادة ، وتوجه إليهم بالحديث قائلا :

– إن بيننا هنا السيد "**هركيول بوارو**" الذي ربما تعرفونه كرجل له خبرات واسعة في مثل هذه الجرائم .. وأرجو أن تستمعوا باهتمام لما سوف يقوله لكم في هذه اللحظة جاء العميد "**كلابرتون**" الذي لم يكن حاضرا وقت العشاء وجلس بجانبه السيد "**فوريز**" ...

وكان يبدو في صورة رجل بلبله الحزن .. كان أبعد ما يكون عن صورة الرجل الذي تنفس الصعداء بعد أن انزاح عنه كابوس ثقيل ... وربما كان الرجل ممثلا بارعا ، أو كان حقيقة متعلقا بزوجته الكريهة ..

قال ربان الباخرة وهو ينزل عن المنصة :

– أقدم إليكم السيد "**هركيول بوارو**" ...

أخذ "**بوارو**" مكان الربان .... وقد بدا مزهوا بنفسه وهو يهش في وجوه

المجتمعين ، وبدأ يقول :

– سيداتي ، سادتي ... إنه لكرم منكم أن تتفضلوا بالاستماع إليّ ... لقد قال لكم السيد الربان إن لي خبرة واسعة في هذه المسائل ... وحقيقة الأمر أنني كونت لنفسي فكرة معينة عن كيفية التوصل إلى حل غموض هذه القضية...

وأبدى "**بوارو**" إشارة ، فتقدم إليه أحد خدم الباخرة وناوله شيئا كبير الحجم لاشكل له ملفوفا بالقماش ... وقال لهم "**بوارو**" محذرا :

– إن ما سوف أفعله قد يدهشكم قليلا ... وقد يخطر لكم أنني رجل غريب الأطوار ، بل مجنون ... ومع ذلك أؤكد لكم أنه يوجد هذا الجنون ، طريقة عمل ، كما تقولون أنتم يا معشر الإنجليز ...

وتلاقت عيناه بعيني الآنسة "**هندرسون**" مدى لحظة ...

ثم بدأ يفك غطاء الجسم الكبير الحجم وهو يقول :

– عندي هنا سيداتي وسادتي ، شاهد مهم يشهد بالحق ، ليبين لنا من الذي قتل السيدة "**كلابرتون**" ...

وبحركة مدربة نزع الطية الأخيرة للقماش فانكشف الجسم الذي كان يحجبه. كان عروسا خشبية بالحجم الطبيعي تقريبا مرتدية بدلة من القطيفة وباقة مشبكة بالأشرطة .

وراح "**بوارو**" يقول بصوت تغيرت نبراته فجأة ، فلم تعد به لكنه أجنبية ، بل لهجة إنجليزية صحيحة وكأنه واحد من أبناء "**لندن**" :

– والآن يا "**ماري**" ... هل يمكنك أن تخبريني – أعيد سؤالي – هل يمكنك أن تخبريني بأي شيء عن موت السيدة "**كلابرتون**" ؟

تذبذبت رقبة العروس قليلا ... وهبط فكها الأسفل وتحرك .. ثم انبعث صوت نسائي حاد يقول :

– (ما هذا يا "**چون**" ؟ . الباب مغلق بالمفتاح ! .. لا أريد أن يقتلني أحد من خدم الباخرة ! ...)

وعلى الأثر تعالت صرخة ... وانقلب مقعد ... ووقف رجل يترنح . وارتفعت يده إلى حلقة يحاول الكلام ثم ما لبث أن هوى على الأرض ... كان الرجل هو العميد "**كلابرتون**" ..

*****

نهض "**بوارو**" وطبيب الباخرة من حيث كانا جاثيين قرب الرجل الممدد ... وقال الطبيب بإيجاز :

– انتهى ... توفي بالسكتة القلبية ...

فأومأ "**بوارو**" قائلا :

– نتيجة الصدمة التي تلقاها بعد أن رأى افتضاح جريمته وانكشاف خدعته

والتفت "**بوارو**" إلى السيد "**فوريز**" قائلا :

– كان الفضل لك يا سيد "**فوريز**" عندما كلمتني عن المسرح الفكاهي ... إنني جعلت أفكر حتى اهتديت إلى الحل .. لنفرض أن "**كلابرتون**" قبل الحرب كان يمثل دور (المتكلم من بطنه) ... في هذه الحالة يكون من الممكن جداً لثلاثة أشخاص أن يسمعوا السيدة "**كلابرتون**" تتكلم من داخل قمرتها في حين أنها كانت ميتة بالفعل ..

وجاءت الآنسة "**هندرسون**" إلى جانبه في هذه اللحظة ، وكانت نظرتها حزينة تشف عن الألم .. وقالت له :

– هل كنت تعرف أنه مصاب بضعف في القلب ؟

– إنني خمنت هذا ... إن السيدة "**كلابرتون**" تكلمت عن إصابتها بضعف

في القلب ... لكنني رأيت فيها نوع المرأة التي تحب أن يظنها الناس مريضة... ثم وقعت في يدي (روشتة) دواء جرعة قوية من عقار "**الديجيتالين**" . إن هذا العقار يستعمل في علاج أمراض القلب ، لكن لايمكن أن يكون من أجل السيدة "**كلابرتون**" ؛ لأن "**الديجيتالين**" يوسع حدقتي العينين ... وأنا لم ألاحظ قط هذه الظاهرة عندها ... ولكنني عندما نظرت إلى عينيه رأيت الأعراض في الحال ....

فغمغمت قائلة :

– إذن فقد رأيت أن المسألة قد تنتهي ... بهذه الكيفية ؟

– هي أحسن نهاية ... أليس هذا رأيك يا آنسة ؟

رأى الدموع تترقرق في عينيها ... وقالت :

– كنت تعرف ... كنت تعرف طول الوقت ... إنني مهتمة به .. لكنه لم يبادلني الاهتمام .. كان السبب هو تلك الفتاتان ... وشبابهما ... إن شبابهما جعله يشعر بعبوديته ... أراد أن ينال حريته قبل فوات الأوان .. نعم... أنا متأكدة أن المسألة كانت هكذا ... متى فكرت ... أنه هو الفاعل؟

فأجاب "**هركيول بوارو**" بهدوء :

– كان هدوء أعصابه تاما أكثر من اللازم . مهما ظهر من اضطهاد زوجته له وتعسفها معه ، فإن هذا لم يكن ينال منه أو يؤثر فيه ... كان معنى هذا أنه إما أن يكون قد اعتاد هذه الحال حتى أصبح لا يتأثر ، وإما ... حسنا .. إنني اتجهت إلى الاحتمال الثاني . وكنت على حق ..

ثم كانت مسألة إصراره على إظهار براعته في ألعاب خفة اليد ، في الليلة السابقة لوقوع الجريمة ... إنه تظاهر بأنه يبوح بسره ... ولكن رجلا مثل "**كلابرتون**" لايبوح بسره . فلا بد من وجود سبب لذلك ...

والسبب هو أنه طالما كان الناس يظنون أنه من (الحواة) ، فليس من المحتمل أن يظنوا أنه كان ممن (يتكلمون من البطن) . . .

– والصوت الذي سمعناه هذه الليلة . . . هل كان صوت السيدة "**كلابرتون**" ؟

– إن إحدى خادمات الباخرة كان لها صوت يشبه صوت السيدة "**كلابرتون**" . . . وقد دبرت معها أن تختفي خلف المنصة ، ولقنتها الكلمات التي تقولها عندما كلمت العروسة . . وقد كان . .

فهتفت الآنسة "**هندرسون**" :

– كانت خدعة قاسية !

فقال "**هركيول بوارو**" بحزم :

– إنني لا أتسامح في جريمة قتل . . .

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة	23	جريمة على ضفاف النيل
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الجزيرة العجيبة	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امرأة خطرة	29	جريمة قتل
8	بيت الأحلام	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	امرأة في مأزق
10	بيت الأهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقَّدة
12	الضحية	34	الشاهدة الوحيدة
13	الحب والجريمة	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الأخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الرجل الرابع
18	جريمة فنية	40	ذات القناع الأسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	اللغز المثير	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

اقطع الكوبون ادناه، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وأرسله مع الشيك على اي مصرف (بنك) في "لبنان" بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 – جونيه – لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : **Dar Music**

وان يكتب على الشيك عبارة "يصرف للمستفيد الأول فقط"

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
21	22	23	24	25	26	27	28	29	30
31	32	33	34	35	36	37	38	39	40
41	42	43	44	45	46	47	48	49	50
51	52	53	54	55	56	57	58	59	60
61	62	63	64	65	66	67	68	69	70
71	72	73	74	75	76	77	78	79	80
81	82	83	84	85	86	87	88	89	90
91	92	93	94	95	96	97	98	99	100

الاسم : ....

العنوان : ....

ص.ب : .... المدينة : .... الرمز البريدي : ....

الدولة : ....

مرسل طيه شيك بمبلغ : .... دولار أمريكي .